

النزعة الوطنية عند الأندلسيين لسان الدين ابن الخطيب وابن سعيد المغربي أنموذجين

بقلم: د. آمنة بن منصور*

يحدثنا التاريخ القديم عن نمط عيش العرب في الجاهلية بأنهم كانوا يعيشون في قبائل متفرقة تحكمها العصبية التي كثيراً ما أشعلت حرباً لم تبق ولم تذر، وأنّ القبيلة الأقوى فيهم هي القبيلة التي تمتلك إعلاماً قوياً يمثله شاعر مفوه يشيد بأمجادها ويدفع عنها أقاويل أعدائها^(١)، ومن هنا نشأت الإرهاصات الأولى للمفاضلة بين المدن لاسيما بعد مجيء الإسلام وتبدل نمط العيش عند العرب من القبيلة إلى المدينة، فضلاً على أنّ العصبية القبلية ظلت قائمة تتأجج من حين لآخر على نحو ما كان بين القيسية واليمانية.

كان قلب الأندلسي، بدءاً، معلقاً بالمشرق -الأرض الأمّ- ولطالما عبّر عن شوقه إليها، ولكن سرعان ما تبدّلت الأمور، وصارت الأندلس أحبّ البلاد إليه لدرجة أصبح الخروج منها ضرباً من العذاب والشقاء.

وتعلق الأندلسي بأرضه تعلقاً ندر أن نجد مثيله في المشرق، ولعل السبب راجع إلى شعوره المستمر بأنه سيفقد هذه الأرض يوماً؛ ومن أجل ذلك فهو يتفانى في حبها^(٢).

وليس غريباً، والحال تلك، أن يباليغ الأدباء في وصفها وتفضيلها على بقاع الأرض جميعاً؛ يقول المقرئ "محاسن الأندلس لا تستوفى بعبارة، ومجاري فضلها لا يشقّ غبارها، وأنى تجارى وهي الحائزة قصب السبق في أقطار الغرب والشرق"^(٣)، ولا نعجب إذا رأينا من يختصر مدن العالم كلها في الأندلس فهي "شامية في طبيعتها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها. فيها آثار عظيمة لليونانيين، أهل الحكمة وحاملي الفلسفة"^(٤).

أما الشعراء فقد أفاضوا في تفضيل الأندلس على سائر البقاع، فهذا ابن خفاجة لا يرى الجنة إلا فيها، إذ يقول:

يا أهل أندلسٍ لله درُّكمُ ماءً وظلٌّ وأنهارٌ وأشجارٌ
ما جنة الخلد إلا في دياركمُ وهذه كنت لو خيِّرتُ أختارُ^(٥)
وقال ابن سفر المريني^(٦):

فيها خلعتُ عذارِي ما بها عِوضُ فهي الرِّياضُ وكلُّ الأرضِ صحراءُ^(٧)
وإذا كانت هذه حال الأندلسي العاشق لبلاده المتيمّ بجمها، فماذا عمّن رزئ بالبعد عنها عنوة وغصباً؟ كالذي أصاب لسان الدين ابن الخطيب

(٧٧٦هـ)^(٨)، إذ أبعد ونفي، فقصد المغرب ونزل بسلا، إلا أنّ فؤاده ظل
أبدًا معلقًا بأرضه الأمّ، غرناطة، يقول:

ترى هل يعود الشمّل كيف عهدته ويبلغ قلبي ما اشتهى ويناله
سقى الله من غرناطة متبوّئًا غمامًا يروي ساحتها سجاله
وربعًا بجمراء المدينة أهلاً أنيطت على بدر السماء حجاله^(٩)

وإذا كان ذكر الديار والحنين إليها أمرًا شائعًا بين الشعراء، فإنّ الغريب
فعلًا أن يمدح الغريب بلده الأمّ، ويفضّلها على البلاد التي آوته، ذلك ما
فعله ابن الخطيب الذي كتب مقامة فضّل فيها مالقة على سلا^(١٠) "تعصّبًا
لها، وتحزّبًا لوطنه فهو لا يرى في الدنيا ما يفضل الأندلس أو يساويها"^(١١).

ويبدأ ابن الخطيب بالثناء على مالقة، وبأنه لا مجال للمقارنة بينها وبين
سلا فهي "أرفع قدرًا وأشهر ذكرًا، وأبعد التماسًا من أن تفاخر أو
تطاول"^(١٢)، ويبرر ابن الخطيب تحيّزه لمالقة على أساس شروط لا تتوفر
عليها سلا وهي "الأمر التي تتفاضل بها البلدان، وتعرفها حتى الولايد
والولدان: المنعة، والصنعة، والبقعة، والشنعة، والمسكن والحضارة
والعمارة"^(١٣)، "أمّا المنعة فلمالقة - حرسها الله - فضل الارتفاع ومزية
الامتناع؛ أمّا قصبتهما فاقتعدت الجبل كرسياً، ورفعها الله مكاناً عليّاً.
وسلا على ما علمت سور حقير وقور إلى التجنيد والتشييد فقير"^(١٤)،
فالمنعة إذن لصالح مالقة ذات الحصون المنيعة والأبراج المرتفعة، أمّا سلا
فلا حظّ لها من ذلك كله. ويصل إلى النقطة الثانية وهي الصنعة، يقول:

"مالقة - حرسها الله - طراز الديباج المذهب، ومعدن صنائع الجلد المنتخب، وصنعاء صنائع الثياب، ومحج التجار إلى الإياب، وأي صناعة في سلا يقصد إليها، أو يعوّل عليها... أو يتجمل بها في عيد؟" (١٥)، فالصنعة كذلك حازتها مالقة. وتأتي النقطة الثالثة وهي البقعة وعنها يقول: "خص الله مالقة بما افترق في سواها، ونشر بها المحاسن التي طواها، إذ جمعت بين رمث الرمال وخصب الجبال. وسلا بلد الرمال ومراكب الجمال، بطيحة لا تنجب السنابل، وإن عرفت المطر الوابل" (١٦). أما عن الشنعة فعنها قال: "مالقة دار الملك في الروم، ومثوى المصاعب والقروم، وذات ملك في الإسلام، غني بالشهرة عن الإعلام، سكنها ملوك الأدارسة الكرام والصناهجة الأعلام، ثم بنو نصر أنصار الإسلام. وأين سلا من هذه المزية والشنعة العلية؟" (١٧).

فابن الخطيب فضل مالقة على سلا تفضيلاً كلياً، وهو يرى نفسه موضوعياً غير متحيز، فهذه "حجج لا تدفع، ودلائل إنكارها لا ينفع" (١٨). ومن باب الوفاء رأى أن يطيب خاطر سلا ببعض الكلام الطيب فقال: "ولسلا الفضل لكن على أمثالها ونظرائها من بلاد المغرب؛ إذ لا ينكر فضل اعتدالها وأمنها من الفتن، ومدفن الملوك الكرام بجبالها" (١٩). ومما تجدر الإشارة إليه أنّ ابن الخطيب، وعلى الرغم من حبه لبلاد المغرب ولمدينة سلا بالذات التي لجأ إليها في أوقات محنته، فإنّ شعوره الوطني جعله يتغاضى عن كل هذه الاعتبارات، ويتحيز إلى المدينة الغرناطية،

فيجعلها مفضّلة على الدوام، وهو شعور قد يرجع إلى روح المنافسة التقليدية القديمة التي كانت سائدة بين الأندلسيين والمغاربة^(٢٠)؛ وابن الخطيب لم يكن لينقم على بلاده نظير محتته تلك فهو كما قال الشاعر:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزةٌ وأهلي وإن ضنّوا عليّ كرامٌ

وقد قاسم ابن الخطيب في هذا الشعور غير واحد من أدباء الأندلس الذين عانوا المنفى والغربة عموماً، ومما زاد الأندلسي تعلقاً ببلاده، حلّه وترحاله؛ إذ كان يقارن بينها وبين الأندلس فيجد الفرق شاسعاً والبون واضحاً، فيزداد حنينه لوطنه؛ ومن هؤلاء ابن سعيد (ت ٦٨٥هـ)، فيحكم رحلاته الكثيرة التي ولّدت لديه شعوراً مستمراً بالغربة، راح يسترجع ذكرياته بالأندلس ويقارن بينها وبين بلدان المشرق التي حطّ الرّحال بها، على أنه يجب التنويه بأنّ ابن سعيد لم يتخذ التعصب لبلاده عنواناً، وإنما كما قال: "لم تزل البلاغة في كل عصر بالمشارك والمغارب... والمنصف من أطال عنان الاختبار دون اقتصار، ولم يخص بالفضيلة عصراً من الإعصار، ولا مصرّاً من الأمصار"^(٢١). ولعله أراد، بهذا الكلام، أن يبيّن توجّهه المحايد والموضوعي في الحكم على الأمصار، مشرقها ومغربها، ولكن هذا لا يعني بأيّ حال أن يلتزم الصمت أمام من يُعرّض ببلاده، أو ينتقص من قدرها، ويؤيد هذا قوله: "والمناظرة بين المشرق والمغرب تحتل كتاباً، وقد صنّفته بالشام لضرورة دعت إلى ذلك، من شدة اتخاذ المشاركة على المغاربة من كل جهة... وسمّيت الكتاب الذي وضعته في

ذلك "الشهب الثاقبة في الإنصاف بين المشاركة والمغاربة" (٢٢).

و"ابن سعيد في هذا الكتاب يعتمد على المقارنات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، ويتجنب إطلاق الأحكام الذاتية التي لا تستند إلى أساس، وهو لا يتردد في ذكر فضائل المشرق، وفي تفضيله على المغرب في بعض الأمور" (٢٣).

و"ابن سعيد لم يفرّق بين الأندلسيين والمغاربة ابتداءً من عنوان كتابه "الشهب الثاقبة"، حيث جمع فيه العدوتين تحت مصطلح (المغاربة)، ولم يترفع عليهم بقلانس "الأندلسيين"، ولم يذمّ أحداً، وإنما انتقد أوضاعاً رآها، على الأقل في هذا الكتاب، عملاً بما التزمه" (٢٤).

ولا يعني هذا أنه غير متحزّب لبلاده، بل على العكس تماماً، فمتى استشعر ازدراء لأندلسه هبّ منافحاً مدافعاً، ومن ذلك ردّه على ابن حوقل (٢٥) الذي وصف الأندلس قائلاً: "ومن أعجب ما في هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها، وضعة نفوسهم، ونقص عقولهم، وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة، ولقاء الرجال، ومراس الأنجاد والأبطال" (٢٦)؛ ولعمري إنه لو وصف للعبيد أقرب، فقد سلب ابن حوقل أهل الأندلس كل مزية ونسب إليهم كل نقيصة، فردّ ابن سعيد قائلاً: "ليت شعري إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة، فمن الذين دبّروها بأرائهم وعقولهم مع مرادة أعدائها المجاورين لها من خمس مئة سنة ونيف؟ ومن الذين حموها ببسالتهم من الأمم المتصلة بهم في داخلها وخارجها؟

وإني لأعجب منه إذ كان في زمان قد دلفت فيه عبّاد الصليب إلى الشام
والجزيرة، وعاثوا كل العيث في بلاد الشام، حيث الجمهور والقبة
العظمى... وفعلوا فيها ما فعلوا، وبلاد الإسلام متصلة بها من كل
جهة"^(٢٧).

من أجل ذلك تعجّب ابن سعيد من ابن حوقل الذي ازدري الأندلس
وأهلها، وكان حريّاً به أن يزدري بلاد الشام التي تكالب عليها العجم من
كل جهة، فعاثوا فيها فساداً، لم يمنعهم في ذلك توسطها بلاد الإسلام،
وعلى العكس من ذلك فإنّ الأندلس ظلت قائمة صامدة أمام كل
محاولات العدو، على الرغم من وجودها وحيدة منفردة تتربصها الأعين
بلا كلل.

ويمضي ابن سعيد في المفاضلة بين مدن الأندلس وغيرها من الأمصار
التي زارها، بناء على موقعها الجغرافي وحظها من الحضارة والعمران،
ومنها قوله: "ولقد تعجّبت -لما دخلت الديار المصرية- من أوضاع قراها
التي تكدرّ العين بسوادها، ويضيق الصدر بضيق أوضاعها، وفي الأندلس
جهات تقرب فيها المدينة العظيمة الممصرة من مثلها، والمثال في ذلك أنك
إذا توجهت من إشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر مدينة شريش، وهي
في نهاية من الحضارة والنضارة"^(٢٨).

ثم يفصّل في الأمر فيقول: "منذ خرجت من جزيرة الأندلس وطففت في
برّ العدو، ورأيت مدنها العظيمة كمراكش وفاس وسلا وسبتة، ثم طفت

في إفريقية وما جاورها من المغرب الأوسط فرأيت بجاية وتونس، ثم دخلت الديار المصرية فرأيت الإسكندرية والقاهرة والفسطاط، ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلب وما بينهما، لم أر ما يشبه الأندلس^(٢٩)؛ فابن سعيد يجزم بأنه لا توجد مدينة -من تلك التي زارها- تفضل الأندلس، غير أنه يستثني من ذلك وجود شَبَهٍ طفيف في فاس ومراكش ودمشق من حيث نضارة الأشجار وجمال التشييد.

ومع ذلك فنحن لا نجد في كلام ابن سعيد انتقاصاً أو ازدراءً لبلاد المشرق، كما فعل ابن حوقل، ومثلما ردّ ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) على "الشهب الثاقبة"، فقد غالى في تعصّبه، فقال: "وكيف تستوي بلاد جنوبها الهند؟ وهم من أهل العلم والحكمة، مع صفاء الألوان، وحسن الصورة وكمال التخطيط... ببلاد جنوبها حثالة السودان؛ المحترقة ألوانهم، المشوّهة صورهم، المختلفة تخاطيظهم، غاية الجهالة، والنفوس البهيمية، لا عقول لهم ولا أفهام، هم أقرب شَبَهًا من بني آدم بالأنعام..."^(٣٠). وفي كلام العمري تجنّ واضح على بلاد لا ناقة لها ولا جمل فيما يدور بين المشرق والمغرب، ثم كيف يعيّر الأندلس بألوان وأشكال جيرانها؟!

وليس غريباً فقد درج المشاركة على امتهان المغاربة^(٣١)، ووصفهم بأحقر الصفات التي لا تليق إلا بالعبيد، كقولهم: "وهل وصل إلى الغرب من السؤدد، إلا ما فضل عن الشرق، أو لبس إلا ما أعاره من الخليع المتذل؟ لما دخل عبد الرحمن الداخل إلى جزيرة الأندلس،

واجتمع إليه من شذاذ القوم من نفضتهم مزود المشارق، ولفظتهم أسرة الملك، فحيث صار الناس بالغرب ناساً، وإلا كانوا كالبهائم السائمة. فمن ذلك الوقت تكلموا باللغة العربية، وامتازوا بالنطق على الحيوان^(٣٢)، ونحن نظن أنّ حنق المشاركة على بلاد الأندلس مرده إلى طبيعة الحكم؛ ففي الأولى كان عباسياً وفي الثانية أمويّاً خالصاً، وصحيح أنّ العباسيين قضوا على الأمويين في المشرق، ولكن هذا لم يمنع بناء دولة أموية قوية في الأندلس، على يد أحد الفارّين من قبضتهم، ضاهت بغداد أيام عزّها واستمرت كذلك بعد اندثارها.

ولو وضعنا ابن سعيد والعمري في كفتيّ ميزان لوجدنا الأول أقرب إلى الإنصاف من الثاني، ذلك أنّ ابن سعيد المغربي أقرّ بفضائل المشرق في عدة مواضع منها "تفرّده بأخبار أصيلة كبيان فضائل جند المشاركة وتفوقهم على جند المغاربة، وقد ساقته موضوعيته فيه إلى التشهير بفرسان الأندلس"^(٣٣)، على حين قال العمري: "إن كان لبعض ملوكهم [المغاربة] تلذذ، فلعله لا يبلغ ما لبعض سوقة المشاركة، والمغاربة لا لهم ظاهر ولا باطن"^(٣٤).

إنّ ابن الخطيب - كما سبق - فضّل مالقة على سلا بما يعني تفضيل الأندلس على المغرب، مع أنها احتضنته مدة نفيه، وابن سعيد فضّل الأندلس ومعها المغرب على المشرق، ردّاً على من انتقص منهما واحتقرهما، كل ذلك في اعتدال وحسن أدب وحوار، وقد حقّ لمن عفر وجهه بتراب الأندلس أن يفضّلها على سائر البلدان.

الهوامش :

* أستاذة محاضرة - المركز الجامعي بعين تموشنت - الجزائر.

(١) كانت المناظرات من هذا النوع أحياناً سبباً في دخول قبائل إلى الإسلام كما حدث مع وفد تميم الذين عرضوا أمام النبي ﷺ شاعرهم وخطيبهم يفخران بمآثرهم، فتصدى لهما ثابت بن قيس الخزرجي وحسان بن ثابت فأفحماه فاعترف الوفد بهزيمتهم ودخلوا في الإسلام- ينظر: **المستطرف في كل فن مستظرف: ١٥٢**.

(٢) تعلق الأندلسي بمسقط رأسه تعلقاً شديداً، فهو يشعر بالغيرة بمجرد أن ينتقل إلى مدينة أخرى أندلسية، فكيف إذا غادر الأندلس؟ فالأندلسيون "يشق عليهم الاندماج في مجتمعات غير مجتمعهم؛ لذلك أكثروا من الشكوى والتذمر والحنين إلى الديار التي خلفوها وراءهم"- ينظر: **الغربة والحنين في الشعر الأندلسي: فاطمة طحطح، كلية الآداب، ط١، الرباط، ١٩٩٣م، ٢٤٣**.

(٣) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقرئ، شرح وضبط: مريم قاسم الطويل، يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان، ١٩٩٥م، ١: ١٢٧**.

(٤) نفسه: ١: ١٢٩.

(٥) الديوان: ٣٦٤.

(٦) المرئي: نسبة إلى مسقط رأسه المرية.

(٧) **نفح الطيب: ١: ٢٠٢**.

(٨) ذو الوزارتين أبو عبد الله بن محمد بن الفقيه الصالح ولي الله الخطيب سعيد المعروف بابن الخطيب- ينظر: **نفح الطيب ٧: ٥ وما بعدها**.

(٩) **الغربة والحنين في الشعر الأندلسي: فاطمة طحطح ٣٤١**.

(١٠) مالقة هي العاصمة الثانية لبني الأحمر بعد غرناطة، وقد وصفها صاحب المسالك بأنها بديعة كثيرة الفواكه تخصص بعمل صنائع الجلد والتين الذي يجلب منها يعم

البلاد شتاء وصيفا..، وسلا هي مدينة بأقصى المغرب قصدها ابن الخطيب عندما نفي عام ١٣٦٠م- ينظر: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: ابن فضل الله العمري، تح: محمد خريسات، عصام هزيمة يوسف ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ الإمارات المتحدة، دط، دت. ٤: ١٤٥ ومشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس: أحمد مختار عبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ٥٧.

(١١) **النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب**: عبد الحليم حسين هروط، جامعة الحسن ابن طلال، دار جرير للشروق والتوزيع، ط ١/٢٠٠٦م، ٩٤-٩٥.

(١٢) **مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب**: ٥٧.

(١٣) نفسه: ٥٧.

(١٤) نفسه: ٥٨-٥٩.

(١٥) المرجع السابق: ٥٩.

(١٦) نفسه: ٦٠.

(١٧) نفسه: ٦٠-٦١.

(١٨) نفسه: ٦٥.

(١٩) نفسه: ٦٦.

(٢٠) المرجع السابق: ١١.

(٢١) **عنوان المرقصات والمطربات**: علي بن موسى بن سعيد المغربي، جمعه: مصطفى سلامة النجاري، جمعية المعارف، ١٢٨٦هـ، ٣.

(٢٢) **التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد المغربي ورحلاته المشرقية وتحولات عصره**: محمد جابر الأنصاري، دار الغرب الإسلامي، ط ١، بيروت، ١٩٩٢م، ١٣٧؛ والنص موجود في **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: ابن فضل الله ٣: ٧٦.

لم يصلنا هذا الكتاب كاملاً أو لعله لا يزال مخطوطاً حبيس الخزائن، وما ذكر منه فشيء قليل في **نفع الطيب** ١ : ٢٠٣، والباقي ذكره ابن فضل الله في كتابه **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** الذي خصص فيه جزءاً للردّ على ابن سعيد في كتابه المذكور.

(٢٣) **التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق** ١٣٨.

(٢٤) نقلاً عن: ابن فضل الله العمري في ردّه على **الشهب الثاقبة**: جاسم العبودي، **مجلة الحوار المتمدّن**، م.س.

(٢٥) هو أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي، صاحب كتاب **صورة الأرض**.

(٢٦) **صورة الأرض**: أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، دار مكتبة الحياة، لبنان، ١٩٩٢م، ١٠٤-١٠٥.

(٢٧) **نفع الطيب**: ١ : ٢٠٤.

(٢٨) نفسه: ٤ : ١٩٨.

(٢٩) نفسه: ٤ : ٢٠١.

(٣٠) ابن فضل الله في ردّه على **الشهب الثاقبة**: د/ جاسم العبودي: **مجلة الحوار المتمدّن**، م.س.

(٣١) كان المشاركة ينظرون نظرة ازدراء لكل ما هو آت من الغرب الإسلامي، وبخاصة البربر الذين وصفوهم بأحققر الصفات، ويؤيد هذا قول مؤلف **مفاخر البربر**: "لما كانت البربر عند كثير من جهلة الناس أحسن الأمم وأجهلها، وأعراها من الفضائل.. رأيت أن أذكر ملوكهم في الإسلام ورؤساءهم وثوارهم وأنسابهم..". ينظر: **مفاخر البربر**: مؤلف مجهول، تح: عبد القادر بوبايا، دار أبي رقرق، ط١، الرباط، ٢٠٠٥م، ٣١.

(٣٢) م.س.

(٣٣) نقلاً عن مقدمة كتاب ابن فضل الله العمري في ردّه على **الشهب الثاقبة**: د / جاسم العبودي: **مجلة الحوار المتمدّن**، م.س.

(٣٤) م.ن.

داراتُ العربِ وبرقها عند الصَّغاني*

(٢)

بقلم: د. أحمد خان ❖

[٢٩] ودارةُ خُنْزَرٍ.

قال النَّبِغَةُ الْجَعْدِيُّ رضي الله عنه (١):

أَلَمْ خَيَالٌ مِنْ أُمَيْمَةَ مَوْهِنًا طُرُوقًا، وَأَصْحَابِي بِدَارَةِ خُنْزَرٍ
وقال الحُطَيْئَةُ (٢):

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا أَبَاكَ هَالِكٌ بَيْنَ الدُّمَاحِ وَبَيْنَ دَارَةِ خُنْزَرٍ
تِلْكَ الرِّزِيَّةُ لَا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا فَاقْنِي حَيَاءَكَ لَا أَبَاكَ وَأَصْبِرِي

وقال ابنُ فارس: يُقالُ إنها دَارَةُ الخُنْزَرَيْنِ، وإنَّ ضَرُورَةَ الشُّعْرِ جَعَلَتْهَا دَارَةَ خُنْزَرٍ.

قال العُجَيْرُ السُّلُولِيُّ (٣):

وَيَوْمَ أَدْرَكْنَا عِنْدَ دَارَةِ خُنْزَرٍ حِمَى نَهَبْنَا ضَرْبُ رَحَابٍ مُسَايِرُهُ
[٣٠] ودارةُ خَوْ (١):

قال :

بِدَارَةِ خَوْ دَكْرَتَيْكَ خَطْرَةٌ عَلَى الْقَلْبِ رَدَّتْ وَقْرَةً فِي فُؤَادِيَا



- د -

[٣١] وَدَارَةُ دَاثِرٍ : فِي أَرْضِ فِزَارَةَ ، وَدَاثِرُ مَاءٍ لَهُمْ .

قال حَجْرُ بنِ عُقْبَةَ الْفِزَارِيِّ^(١) :

رَأَيْتُ الْمَطِيَّ دُونَ دَارَةِ دَاثِرٍ جُنُوحًا أَدَاقَتُهُ الْهَوَانَ خَزَائِمُهُ
وقال حَارِثَةُ بنِ إِيَّاسِ السَّعْدِيِّ :
لِمَنْ طَلَّلَ عَافٍ بِدَارَةِ دَاثِرٍ عَفْتُهُ السَّوَارِي بَعْدَنَا وَالْأَعَاصِرُ

[٣٢] دَارَةُ دَمَخٍ^(١) :

وَدَمَخُ جَبَلٍ يُنَاوِحُ بَيْتِيلاً ، وَهُمَا جِبَلَانِ لِعُمَرَ بنِ رَبِيعَةَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي بَكْرٍ .
قال الْكِلَابِيُّ :

وَلَا زَالَ دَهْمِي بِالْبَيْتِيلَةِ مُسْبِلًا وَدَارَةَ دَمَخٍ كُلِّ أَسْحَمٍ أَوْطَفِ
وقال آخَرُ :

أَهِيمٌ كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ بَيْنَ رَايَغٍ وَدَارَةِ دَمَخٍ بِالْعُقُوقَيْنِ ثَاوِيَا
والعُقُوقَانِ : رَحْبَتَانِ مُنْحَدِرَتَانِ عَلَى حَرَّةِ النَّارِ .

[٣٣] وَدَارَةُ دُمُونٍ :

قال :

إِلَى دَارَةِ الدُّمُونِ مِنْ آلِ مَالِكٍ

[٣٤] ودَارَةُ الدُّورِ:

قال حُجْرُ بن عَقْبَةَ [الفَزَارِيُّ]، وكان بينه وبين أخيه شيءٌ فأراد أن يُنْتَقِلَ، وأتى أخاه لِيُسَلِّمَ عليه، فَخَرَجَ إليه أَخُوهُ في السَّلَاحِ، فقال: ليس لهذا جِئْتُ، فبكى أخوه، فقال حُجْرٌ^(١):

أَلَمْ يَأْتِ قَيْسًا كُلَّهَا أَنْ عَزَّهَا غَدَاةَ غَدٍ مِنْ دَارَةِ الدُّورِ ظَاعِنُ
هُنَالِكَ جَادَتْ بِالِدُمُوعِ مَوَانِعُ الـ م عِيُونٍ وَسَلَّتْ لِلْفِرَاقِ الضَّغَائِنُ
وَيُرْوَى: أَنْ رَبَّهَا غَدَاة.

قال أَرْطَأَةُ بن سُهَيْبَةَ:

عُوجًا عَلَى دِمْنَةٍ فِي دَارَةِ الدُّورِ
قَفْرٍ مَعَارِفُهَا مِنْ أُمَّ مَعْدُورِ



- ذ -

[٣٥] ودَارَةُ الدُّنْبِ: بنجد في دِيَارِ بني كِلَاب^(١).

[٣٦] ودَارَةُ الدُّنْبِ: لِبَنِي الأَضْبَطِ؛ وهما^(١) متناوحتان، والدُّنْبَانُ فيهما.

وهما ماءان لبني الأَضْبَطِ، حذاء الجُثُومِ.

قال عمرو بن بَرَّاق^(٢):

وهمَّ يَكْدُونِي، وَأَيَّ كَدٌ
مِنْ دَارَةِ الدُّنْبِ بِمَجْرَهَدٌ



[٣٧] وَدَارَةٌ رَابِعٌ :

قال رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ :

تَذَكَّرْتُ هِنْدًا يَوْمَ دَارَةِ رِبْعٍ فَكَادَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تُظْهِرُ كَيْتَمَانِي
[٣٨] وَدَارَةُ الرَّدْمِ : فِي دِيَارِ بَنِي كِلَابٍ .

قال^(١) :

لَعَنُ سُحْطَةَ مِنْ خَالِقِي أَوْ لِشَقْوَةٍ تَبَدَّلْتُ قَرْقِيسَاءَ مِنْ دَارَةِ الرَّدْمِ
[٣٩] وَدَارَةُ رَذَهَةَ^(١) .

[٤٠] وَدَارَةُ رَفْرَفٍ ، كَذَا ضَبَطَهُ جَارُ اللَّهِ الْعَلَامَةُ الزَّمَخْشَرِيُّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَقَرَأْتُ فِي شَرْحِ شِعْرِ جَرِيرٍ بَخَطَّ أَبِي الْغَنَائِمِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنَ عَمْرٍو
الْخَلَّالِ^(١) : رُفْرَفٌ بَرَاءَيْنِ مَضْمُومَتَيْنِ .

قال الرَّاعِي^(٢) :

رَأَى مَا أَرْتُهُ يَوْمَ دَارَةِ رَفْرَفٍ لَتَصْرَعَهُ يَوْمًا هُنَيْدَةً مَصْرَعًا
وقال ثَعْلَبٌ : رِوَايَةُ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ : رُفْرَفٌ ، بِالضَّمِّ ؛ وَرِوَايَةٌ غَيْرُهُ :
رَفْرَفٌ ، بِالْفَتْحِ .

[٤١] وَدَارَةُ رُمَحٍ : لِعَمْرٍو بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

وَرُمَحٌ أَبْرَقُ أبيضٌ يَحِلُّ بِهِ بَادِي بَيْتِلَةَ ، وَبَيْتِلَةُ : مَاءٌ لَهُمْ رِوَاءٌ بِبَطْنِ
السُّرَّةِ ، وَهِيَ إِلَى جَنْبِ بَيْتِلِ . وَبَيْتِلِ : جَبَلٌ أَحْمَرٌ يُنَاوِحُ دَمَحًا ، وَدَمَحٌ لِبَنِي
عَمْرٍو بْنِ كِلَابٍ ، فِيهِ أَوْشَالٌ كَثِيرَةٌ .

قال جِرَانُ الْعَوْدِ^(١) :
كَأَنَّ التَّمِيرِيَّ الَّذِي يَتَّبَعْنُهُ بَدَارَةَ رُمَحِ طَالِعِ الرَّجُلِ أَحْنَفُ
وَيُرْوَى بَدَارَةَ دَلْخِ.
[٤٢] دَارَةُ الرُّمْرِمِ.
قال الغامدي^(١) :

أَعِدُّ نَظْرًا هَلْ تَرَى ظَعْنَهُمْ وَقَدْ جَاوَزَتْ دَارَةَ الرُّمْرِمِ
[٤٣] دَارَةُ رَهْبَى.
قال جرير^(١) :

مَحَا طَلًّا بَيْنَ الْمُئِنْفَةِ وَالنَّقَا صَبًّا رَاحَةً أَوْ ذُو حَبِيَيْنِ رَائِحُ
بِهَا كُلُّ ذِيَالِ الْأَصِيلِ كَأَنَّهُ بَدَارَةَ رَهْبَى ذُو سِوَارَيْنِ رَامِحُ
[٤٤] دَارَةُ الرَّهَى.

قال المَرَارُ بن سعيد الفَقْعَسِي^(١) :
بَرِئْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ غَيْرِ شَوْقٍ إِلَى الدَّارِ الَّتِي بِلِوَى أَبَانِ
دِيَارٌ لِّلَّتِي لَجَلَجْتُ عَنْهَا وَلَوْ أَعْرَبْتُ لَجَّ بِهَا لِسَانِي
وَمِنْ وَاْدِي القُنَانِ، وَلَيْسَ مِنِّي بَدَارَاتِ الرَّهَى وَادِي القُنَانِ

[٤٥] وقال أبو عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر، الشاعر المعروف
بالخَالِع^(١)، في كتاب "الدارات في جزيرة العرب"، من تأليفه:
دَارَةُ رِيًّا^(٢) : وهي بالدَّمْنَا، لِبَنِي يَرْبُوعِ. قال : وَرِيًّا رَمْلَةٌ إِلَى جَانِبِهَا رَمْلَةٌ
يُقَالُ لَهَا : جُمَانَةٌ. قال : وَلَهُمَا يَقُولُ جَرِيرٌ^(٣) :

بَهْوَى جُمَانَةَ أَوْ بَرِيًّا الْعَاقِرِ
 قَالَ الصَّغَانِيُّ، مُؤَلَّفَ هَذَا الْكِتَابِ: صَدَرَ هَذَا الْبَيْتُ:
 أَمَّا الْفُؤَادُ فَلَنْ يَزَالَ مُتِمِّمًا
 وَذَكَرَ السُّكَّرِيُّ فِي شَرْحِ الْبَيْتِ: أَنَّ جُمَانَةَ وَرِيًّا امْرَأَتَانِ.
 وَالَّذِي يَعْبُضُ قَوْلَ الْخَالِعِ قَوْلُ عُمَارَةَ بْنِ عَقِيلٍ: أَنَّهُمَا مَوْضِعَانِ عَنِ
 يَمِينِ خَيْمَةِ جَرِيرٍ وَشِمَالِهَا.



- س -

[٤٦] وَدَارَةُ سَعْرِ^(١): لِبَنِي وَقَّاصٍ، مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ، بِهَا
 الشُّطُونُ^(٢): بئرٌ يُسْتَقَى مِنْهَا بِشَطْنَيْنِ.

قَالَ الْكِلَابِيُّ:

بِدَارَةَ سَعْرِ قَدْ ضَرَبْنَا قِبَابَنَا وَنُطْنَا إِلَيْهَا كُلَّ قَبَاءٍ صِلْدَمٍ

وَقَالَ حُمَيْضَةُ بْنُ وَقَّاصٍ بْنِ عَامِرٍ:

مَرَاكُ بْنُ وَقَّاصٍ حُمَيْضَةُ قَرْيَةٍ بِدَارَةَ سَعْرِ فَوْقَ رِفْدِ الْحَوَالِبِ

[٤٧] وَدَارَةُ السَّلْمِ:

قَالَ الْبَكَّاءُ بْنُ كَعْبِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ جُوَيْثَةَ الْفَزَارِيِّ:

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ تَفَرَّقَ شَمْلُهُ وَرَأَى الْغَدَاةَ مِنَ الْفِرَاقِ يَقِينَا

وَبِدَارَةَ السَّلْمِ الَّتِي شَرَفِيهَا^(١) دِمْنٌ يَظَلُّ حَمَامُهَا يُبْكِينَا

وَيُرَوَّى: شَوْقِيهَا دِمْنٌ.

وبالبيت الثاني لُقِّبَ البكاءُ، وكان اسمه أرطاة.



- ش -

[٤٨] ودَارَةٌ شُبَيْثٌ : لِبَنِي الْأَضْبَطِ بِيْطْنِ الْجَرِيْبِ.

قال :

وَمِنْ شُبَيْثٍ قَدْ حَلَلْنَا دَارَهُ بِجَامِلٍ لِلْعَيْنِ فِيهِ شَارَهُ



- ص -

[٤٩] ودَارَةٌ صَارَةٌ : مِنْ بِلَادِ غَطْفَانَ.

قال ميدانُ بنِ صَخْرٍ^(١) :

عَقَلْتُ شَيْبًا يَوْمَ دَارَةِ صَارَةٍ وَيَوْمَ نَضَادِ النَّيْرِ أَنْتَ جَنِيْبُ

[٥٠] ودَارَةُ الصَّفَائِحِ.

قال الأَفْوَهُ الأُوْدِيُّ^(١) :

أَلَمْ تَتْرُكْ سَرَائِهِمْ عِيَامِي جُنُوحًا تَحْتَ أَرْجَاءِ الدُّبُولِ

تُبَكِّيْهَا الأَرَامِلُ بِالمَالِي بِدَارَاتِ الصَّفَائِحِ والنَّصِيلِ

[٥١] ودَارَةُ صَلْصُلٍ : لِبَنِي عَمْرُو بْنِ كِلَابٍ ، وَهِيَ بِأَعْلَى دَارِهَا.

وَصُلْصُلٌ : مَاءٌ فِي جَوْفِ هَضْبَةٍ حَمْرَاءِ.

قال أبو ثَمَامَةَ الصَّبَّاحِيُّ^(١) :

هُم مَنَعُوا مَا بَيْنَ دَارَةِ صَلْصُلٍ إِلَى الهَضْبَاتِ مِنْ نَضَادٍ وَحَائِلِ

وقال جرير^(٢) :

إِذَا مَا حَلَّ أَصْلُكَ يَا سُلَيْمَى بَدَارَةَ صُلْصُلٍ شَحَطُوا الْمَزَارَا

وقالت امرأة من بني كلاب تصف إيلاً :

وَإِذْ هِيَ أَخْطَارُ بَدَارَةَ صُلْصُلٍ تُقَدِّمُهَا نِيرَانُهَا فِي الْمَوَارِدِ

والنيران : السمات ، تقول إذا عُرِفَتْ سِمَاتُهَا سُقِيَتْ مقدمةً بعِزَّةٍ أصلها .

وهذا كما قال آخر^(٣) :

وَقَدْ سَقَوْا آبَاهُمْ بِالنَّارِ وَالنَّارُ قَدْ تَسْقِي مِنَ الْأَوَارِ

[٥٢] ودارة صندل : وهي قريبة من دارة وشحى .

قال ابن الأعرابي في "نوادره" : أنشدني الدبيري لعمه :

فَلَوْ كَانَ خَيْرِيَا مَنِيْعَ أَصْبَتْهُ وَلَكِنَّهُ بِالْـدَّارَتَيْنِ قَلِيْلُ

قال ابن الأعرابي : يعني دارة صندل ، ودارة وشحى .



- ع -

[٥٣] ودارة عبس : قريبة من دارة جُلْجُل ، في رمل أبيض .

[٥٤] ودارة ذات عرش^(١) .

وعرش : رمل بتصيل^(٢) ، معروف ، وهي من أعرب الدارات .

قال سلمة بن صبح السكوني :

نَزَلْنَا يَوْمَ دَارَةِ ذَاتِ عَرْشٍ عَلَى كَمَدٍ تُغَضُّ بِهِ الضُّلُوعُ

فَلَوْلَا أَنَّ أَخْلَاقًا كِرَامًا مَلَكَهَا لَأَفْصَحَتِ الدُّمُوعُ

[٥٥] ودَارَةٌ عَسْعَسٌ^(١): غَرَبِي الحِمَى.

وعسّس جبلٌ أحمرٌ مجتمعٌ عالٌ في السَّمَاءِ، لا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ جِبَالِ الحِمَى، هَيْئَتُهُ كَهَيْئَةِ الرَّجُلِ لَمَنْ رَأَاهُ مِنَ الْمُصْعِدِينَ، كَأَنَّ خَلْقَتَهُ خَلْقَةُ رَجُلٍ قَاعِدٍ لَهُ رَأْسٌ وَمُنْكَبَانٌ^(٢).

قال:

إِلَى عَسْعَسٍ ذِي المُنْكَبَيْنِ وَذِي الرَّأْسِ

وقال ابنُ شوذب:

بِدَارَةِ عَسْعَسٍ دَرَجَتْ عَلَيْهَا سَوَافِي الرِّيحِ بَدَأَ وَارْتَجَاعَا
وقال أبو زياد الكلابيُّ في نوادره: التفت سُفْهَاءٌ مِنْ بَنِي أَبِي بَكْرٍ وَبَنِي جَعْفَرٍ، فَكَانَ بَيْنَهُمْ تَكْسُرُ قِيَاسٍ وَشِجَاجٌ وَطَرْدٌ نَعَمٍ حَتَّى بَلَغَ بِهِمْ ذَاكَ إِلَى أَنْ جَمَعَتْ بَنُو أَبِي بَكْرٍ وَبَنُو جَعْفَرٍ حَتَّى اتَّقَوْا بِدَارَةَ عَسْعَسٍ - وَدَارَةَ عَسْعَسٍ عَرَبِيّ الحِمَى يَحْمِي ضَرِيَّةً - ثُمَّ اصْطَلَحُوا، وَأَغْنَى اللهُ مِنْ شَرِّ ذَلِكَ اليَوْمِ.

فقال [جَهْمُ بن سَبَل] أبياتًا، منها:

فَلَمَّا أَنْ رَأَى السُّفْرَ اغْتَانَا بِدَارَةِ عَسْعَسٍ خَفَتَ النَّبَاجُ

والأبيات جيمية.

[٥٦] ودَارَةُ العَلْيَاءِ: هِيَ لِبَنِي عَدِيّ بنِ جَنَابٍ، فِي حَزْنٍ مِنَ الأَرْضِ بَيْنَ جِبَالِ.

قال المنذرُ بنُ دِرْهَمِ بنِ أنيسِ بنِ جندلِ بنِ نهشلِ بنِ عديِ بنِ جنابٍ:
وَأَحْدَثُ عَهْدٍ مِنْ أُمَيْمَةَ نَظْرَةَ عَلَى دَارَةِ العَلْيَاءِ إِذْ أَنَا وَاقِفُ

[٥٧] وَدَارَةٌ عَوَارِضُ.

ذَكَرَهُ ابْنُ فَارِسٍ ^(١).

[٥٨] وَدَارَةٌ عَوَارِمٌ: هَضْبٌ ^(٢)، وَمَاءٌ لِلضَّبَابِ، وَلِبْنِي جَعْفَرٍ.

[٥٩] وَدَارَةٌ الْعُوجِ ^(١).

قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ:

يَا دَارَ سَلْمَى بَيْنَ دَارَاتِ الْعُوجِ

جَرَتْ عَلَيْهَا كُلَّ رِيحٍ سِيَهُوجُ

هُوجَاءُ جَاءَتْ مِنْ جِبَالِ يَاجُوجِ

مِنْ عَنِ يَمِينِ الْخَطِّ أَوْ سَمَاهِيحٍ ^(٢)

[٦٠] وَدَارَةٌ عُويجٍ ^(١).

وَعُويجٌ: مَاءٌ كَانَ لِبَنِي حِرَامٍ، وَهُوَ الْيَوْمَ لِبَنِي الْأَضْبَطِ.

قَالَ:

قَدْ كَثُرَ الْهَرَجُ بِهَا وَالْهَيْجُ

وَقَدْ حَمَاهَا أَنْ تُرَى الصُّويجُ

بِدَارَةٍ يَبْتَدُّهَا عُويجُ

يَبْتَدُّهَا: يَأْخُذُ نَصِيبَهُ مِنْهَا.



- غ -

[٦١] وَدَارَةُ الْغُبَيْرِ ^(١).

وَهِيَ لِبَنِي الْأَضْبَطِ بْنِ قُرَيْعٍ، بِهَا مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: الْغُبَيْرُ.

قال :

هل لك في وردٍ بعيدِ السيرِ
ترويك منه دارةُ الغبيرِ
يوقنُ منه فأرطى بالخيرِ

[٦٢] ودارةُ الغزِيلِ.

وهي في ديارِ بلحارث بن ربيعة بن كلاب.
قالت سريرة بنت سُفيان الكلابية :

وقد رعت في أنفِ التَّبَّيلِ
مرعى لها بدارةِ الغزِيلِ
تحميه أطرافُ الرِّمَّاحِ الدُّبَلِ

[٦٣] ودارةُ الغُمَيْرِ.

أنشد الأصمعيُّ لَشَيْبِ بنِ البرصاءِ^(١) :

ألم تر أن الحَيَّ فرَّقَ بينهم نوى يومَ داراتِ الغُمَيْرِ فُلُوجُ

[٦٤] ودارةُ غُولٍ^(١).

قال الجوبُّ الضَّبِّيُّ :

وكيف تُرجي الودَّ من آلِ طارقٍ ودارةُ غُولٍ دونها فرجامها



- ف -

[٦٥] ودارةُ فَنُكٍ.

وَفَتْكَ : ماءً بأجَا، أَحَدِ جَبَلِي طَيِّئٍ.
قال الطَّرْمَاحُ بن جَهْمِ الطَّائِيُّ :
بِدَارَةِ فَتْكَ أَوْ بِأَسْفَلَ كَامِسٍ بَقَى بَعْدَهَا سُنْفَعُ الخُدُودِ خُلُودِ
[٦٦٦] ودَارَةُ الفُرُوعِ.

والفُرُوعُ بِرَاقٍ بِيضٌ بَيْنَ الحِصَّاءِ وَالكَهْنَةِ وَالْمَجَازَةِ وَالْحَفْرِ. وَهِيَ أَمْوَاهُ
صِدْقِ لِبَنِي أَبِي بَكْرٍ.
قال مَرخِيَةُ الكَلَابِي :
لَنَا بَيْنَ دَارَاتِ الفُرُوعِ مُحَاضِرٌ يُظَلِّلُهَا غَابُ الرُّوَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

[٦٧٧] ودَارَةُ فُرُوعٍ - مِثَالِ جَرُولٍ. وَفُرُوعٌ فِي بِلَادِ هُدَيْلٍ.
قال البُرَيْقُ بن عِيَاضِ الهُدَلِيِّ^(١) : وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : هُوَ لِعَامِرِ بنِ سَدُوسٍ :
وَقَدْ هَاجَنِي فِيهَا بوعَسَاءِ فُرُوعٍ وَأَجْزَاعِ ذِي اللِّهْبَاءِ مَنزِلَةَ قَفْرُ



- ق -

[٦٨] ودَارَةُ القِدَاحِ ، بِكسْرٍ [أَوَّلُهُ وَتَخْفِيفٍ]^(١) الدالِ ، عَنِ ابْنِ السُّكَيْتِ .
[٦٩] ودَارَةُ القِدَاحِ ، بِالْفَتْحِ وَالتَّشْدِيدِ ، عَنِ الحَازِمِيِّ ، فِي دِيَارِ تَمِيمِ .
[٧٠] ودَارَةُ قُرْحٍ : سُوقُ وَادِي القُرَى وَقَصْبَتُهُ . وَقُرْحٌ فِيهِ نَخْلٌ كَثِيرٌ .
قال أَبُو القَمَمَاتِ الأَسَدِيُّ^(١) :

حُسْنٌ فِي قُرْحٍ ، وَفِي دَارَاتِهَا
سَبْعَ لَيَالٍ غَيْرَ مَعْلُوفَاتِهَا

[٧١] وَدَارَةٌ قُطْقُطٌ^(١).

ويومٌ قُطْقُطٌ يومٌ كان بين بني مالك بن مالك، وبين عبس وطبيئ.

[٧٢] وَدَارَةُ الْقَلْتَيْنِ: فِي دِيَارِ نُمَيْرٍ، مِنْ وَرَائِهَا تَهْلَانُ.

قال يشر بن أبي خازم^(١):

سَمِعْتُ بِدَارَةِ الْقَلْتَيْنِ صَوْتًا لِحَتِّمَةِ الْفُوَادِ بِهِ مَضُوعٌ
وَيُرْوَى: لَهُ مَضُوعٌ.

وقال الأحول^(٢) [لو] ابن حبيب: هي دارة القلتين، بتحريك اللام،

وأنشدا على التحريك:

شَرِبْتُ عَلَى دَارَةِ الْقَلْتَيْنِ حَتَّى حَسِبْتُ دَجَاجَةً مَرَّتْ حِمَارًا^(٣)
وَالصَّوَابُ إِسْكَانَ اللَّامِ^(٤).

[٧٣] وَدَارَةُ الْقَمُوصِ. وَالْقَمُوصُ: مَاءٌ لِبَنِي الْأَضْبَطِ، حِذَاءَ دَارَةِ الْجُثُومِ^(١).

[٧٤] وَدَارَةُ قَوْ: فِي بِلَادِ مَالِكِ بْنِ مَالِكٍ.

قال مرة بن الرواع، أخو كعب بن الرواع - والرُّوَاعُ أمُّهُمَا - واسم

أبيهما سلم بن عامر المالكي:

أَقْفَرُ بَنِ آلِ سَلْمَى بَعْدَكَ الْبَثْرُ فَالْسُرُّ فَالْوَشْمُ فَالْمَرْوَتُ فَالْبُصْرُ
فَضَارِجُ فِلَوَى قَوْ فَدَارَتُهُ فَصَدْفُ صَارَةَ فَالصَّوْبَانُ فَالْصَدْرُ



- ك -

[٧٥] وَدَارَةُ كَامِسٍ: وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ دَارَةِ فَتْكَ^(١).

قال الطَّرِمَّاحُ بْنُ جَهْمٍ:
إِلَى دَارَةِ الْمُحَلَّلِ مِنْ بَطْنِ كَامِسٍ عَفَا رَسْمَهَا سَافٍ مِنَ الْمَوْرِ مُهْدَبٍ
[٧٦] وَدَارَةُ كَيْدٍ.

وَكَيْدٌ: هَضْبَةٌ حَمْرَاءُ بِالْمَضْجَعِ، لِبَنِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ.
[٧٧] وَدَارَةُ الْكُورِ.

وربما قالوا: دَارَةُ الْأَكْوَارِ، وَهِيَ فِي مُلْتَقَى بَنِي رَيْبَعَةَ بْنِ عُقَيْلٍ، وَدِيَارِ نَهْيِكَ
وَهِىَ إِلَى دِيَارِ نَهْيِكَ أَقْرَبُ. وَقَدْ ذَكَرْتُ دَارَةَ الْأَكْوَارِ فِي الْأَلْفِ مَعَ الْكَافِ.
قَالَ سُؤَيْدُ بْنُ كُرَاعٍ^(١):

فَدَارَةُ الْكُورِ كَانَتْ مِنْ مَحَلَّتِنَا فَحَيْثُ نَاصَى هَضَابَ الْأَخْرَمِ الْجَرْدَا
وَيُرْوَى: نَاصَى أَنْوْفَ الْأَخْرَمِ.

قَالَ الرَّاعِي يَذْكَرُ مَرَوَانَ بْنِ الْحَكَمِ^(٢):
خُبْرْتُ أَنَّ الْفَتَى الْمَرَوَانَ يُوعِدُنِي فَاسْتَبَقِ بَعْضَ وَعِيدِي أَيُّهَا الرَّمْلُ
وَفِي تَدْوَمٍ إِذَا اغْبَرَّتْ مَنَاكِبُهُ وَدَارَةُ الْكُورِ عَنْ مَرَوَانَ مُعْتَزِلُ
وَيُرْوَى: وَدَرْوَةَ الْكُورِ.

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ بِفَتْحِ الْكَافِ. وَقَالَ غَيْرُهُ بَضْمَهَا^(٣).



- ل -

[٧٨] وَدَارَةُ لَأُفْظِ^(١).

أَنْشَدَ الْمُبَرِّدُ:

عَلَى مِثْلِ أَهْبَانٍ تَشْقُ جُيُوبُهَا وَتُعْلِنُ بِالنُّوحِ النِّسَاءُ الْفَوَاقِدُ
 إِذَا انْتَضَلَ الْقَوْمُ الْأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ عَيْبًا، وَلَا كَلًّا عَلَى مَنْ يُقَاعِدُ
 فَتَى بَزَّ عَنْهُ يَوْمَ دَارَةَ لِأَفْظِ قَمِيصَ الْوَعَا إِذْ بَانَ عَنْهُ الْمُسَاعِدُ
 فَجَاءَتْ عَلَيْهِ كُلُّ وَطْفَاءِ حُرَّةٍ لَهَا بَارِقٌ يَحْدُوهُ فِي الْجَوِّ رَاعِدُ



- م -

[٧٩] وَدَارَةَ مَاسِلٍ : فِي دَارِ عَقِيلٍ ، وَمَاسِلُ نَخْلٍ لَهُمْ ، وَقِيلَ : رَمْلٌ ،
 وَقِيلَ : جَبَلٌ ، وَقِيلَ : مَاءٌ .

قال عمر^(١) بن الأشعث التيمي :

لَا تَهْجُ ضَبَّةَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّهُمْ قَتَلُوا مِنَ الرُّؤَسَاءِ مَا لَمْ تَقْتُلْ
 قَتَلُوا شَقِيرًا يَوْمَ غُولِ وَابْنِهِ وَابْنِي هُتَيْمٍ^(٢) يَوْمَ دَارَةَ مَاسِلِ
 وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ^(٣) :

هَجَاتِنِ مِنْ ضَرْبِ الْعَصَافِيرِ ضَرْبُهَا أَخَذْنَا أَبَاهَا يَوْمَ دَارَةَ مَاسِلِ
 [٨٠] وَدَارَةَ مُتَالِعٍ^(١) .

قال صدقة بن نافع الحلالي^(٢) ، أحد بني أبي بكر بن كلاب :

وَهَلْ أَعْلَوْنَ السَّفْحَ بَيْنَ مُتَالِعٍ وَدَارَتِهِ قَدْ وَاجَهَتْهَا بُشُورُهَا
 [٨١] وَدَارَةَ الْمُثَامِنِ ، [وَدَارَةُ مُحْصَنٍ] .

ذَكَرَ الْأَحْوَلُ أَنَّ الْمُثَامِنَ جِوَاءَ لِبَنِي ظَالِمٍ مِنْ نُمَيْرٍ ، بِطَرْفِ نَهْلَانَ
 الْأَقْصَى .

قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ^(١) :

فَدَارَةٌ مَحْصَنٌ فِذِي طُلُوحٍ
فَسِرْدَاحِ الْمَثَامِينِ فَالضُّوَاحِي

[٨٢] وَدَارَةٌ مَحْلَفٌ : وَهِيَ فِي دِيَارِ عَدِيِّ بنِ جَنَابٍ .

قَالَتْ أُمُّ الرَّاعِي بنْتُ عَامِرِ [بن] مَالِكِ بنِ جَنَابٍ :

وَلَمَّا هَبَطْنَا مَحْلَفًا وَبَدَا الْهَوَى
تَنَاهَى الْهَوَى ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى
بَارَكَانِهِ مِنْ دَارَةٍ وَكَثِيبِ
فَلَيْسَ إِلَى الْقُرَى بِطُرُوبٍ**
وَقَالَ سُؤَيْدُ بنِ مَشْتُوءِ الْكَلْبِيِّ ، وَحَلَفَهُمْ مَعَ بَنِي أُسَافِ بنِ هُدَيْمِ بنِ
عَدِيِّ :

غَدَاةٌ تَلَاقَيْنَا بِدَارَةِ مَحْلَفٍ وَقَدْ كَانَ حُرْمٌ بَيْنَنَا وَدُحُولُ
[٨٣] وَدَارَةُ الْمُرَاضِ^(١) .

أَنشَدَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي أَمَالِيهِ :

تَخَيَّرْتُ مَرَاتِعَ الْأَحْمَاضِ
مِنْ عَيْثَةٍ ، فَدَارَةُ الْمُرَاضِ

[٨٤] وَدَارَةُ الْمُرْدَمَةِ^(١) .

وَهِيَ لِابْنِي مَالِكِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي بَكْرِ بنِ كِلَابٍ .
وَالْمُرْدَمَةُ جَبَلٌ عَظِيمٌ يُنَاوِحُهُ سُوَاجٌ وَالْأَخْرَجُ .

[٨٥] وَدَارَةُ الْمُرْدِ^(١) .

وَالْمُرْدُ رَمْلٌ .

وأُشِدُّ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ :

قَدْ صَبَّحَتْ بِسَيْرِهَا الْمُغْدُ
مُؤَيَّهَةٌ بِدَارَةِ الْمُـرْدِ

[٨٦] وَدَارَةُ الْمُرُورَاتِ.

قال زهير بن أبي سلمى ^(١) :

تَرْبِصُ فَإِنْ تَقَوَّ الْمُرُورَاتُ مِنْهُمْ وَدَارَاتُهَا لَا تَقَوَّ مِنْهُمْ إِذَا نَحَلُّ
[٨٧] وَدَارَةُ مَعْرُوفٍ : بِجَمَى ضَرِيَّةٍ ، وَهُوَ مَاءٌ عَذْبٌ قَلِيلٌ فِي أَصْلِ جَبَلٍ
لِبَنِي جَعْفَرٍ.

قال :

وَوَرَّاءَتْ لَهُ بِدَارَةِ مَعْرُوفٍ فِي نِسَاءٍ كَأَنَّهِنَّ الصَّوَارُ
[٨٨] وَدَارَةُ مَعِيطٍ ^(١) .

قال قيس بن المنذر الخزاعي ، وهو ابن الحدادية :

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ دَارَةِ مَعِيطٍ
لَتُرْهَنَ أَبْنَاءَ الْحِمَارِ وَمَأْشِدِ

[٨٩] وَدَارَةُ الْمَكَامِنِ.

لبني نمير في ديار بني ظالم ، تُناوِحُ الْمُتَمَائِنَ مِنْ وَرَائِهِنَّ . وَجَعَلَهَا
الرَّاعِي دَارَةَ الْمَكْمَنِ ^(١) لِحَاجَتِهِ ، فَقَالَ :

عَهْدُنَاهَا مَنَازِلَ آلِ حُبَى فَلَمْ نَمْلِكْ مِنَ الطَّرَبِ الْعِيُونََا
بِدَارَةِ مَكْمَنِ سَاقَتْ إِلَيْهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ أَرَامًا وَعَيْنَا

[٩٠] وَدَارَةٌ مَلْحُوبٌ.

قال :

إِنَّ تَقْتُلُوا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ فَقَدْ قَتَلْتُمْ حُجْرًا بَدَارَةَ مَلْحُوبٍ^(١) بِنُو أَسَدٍ
[٩١] وَدَارَةُ الْمَلَكَةِ^(٢).

[٩٢] وَدَارَةٌ مَنُورٌ^(١).

ويروي بعضهم قولَ الحُطَيْيَةِ :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ لَا أَبَالَكَ هَالِكٌ بَيْنَ الدَّمَاحِ، وَبَيْنَ دَارَةِ مَنُورٍ
والرواية : خنزر، وقد ذكرناها^(٢).

[٩٣] وَدَارَةٌ مَوَافِيحٍ^(٣) : بِالْمَضْجَعِ، لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ كِلَابٍ، مِنْ خَيْرِ مِيَاهِهَا.

[٩٤] وَدَارَةٌ مَوْضُوعٌ :

قال الحصين بن حمام المرِّي :

جَزَى اللَّهُ أَفْنَاءَ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا بَدَارَةَ مَوْضُوعٍ عُقُوقًا وَمَأْتَمًا^(١)
[٩٥] وَدِرَاةٌ مَوْقُوعٌ^(١) : فِي دِيَارِ بَنِي تَيْمِمْ.

قال عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ :

يَا مَنْزِلَ الْحَيِّ مِنْ دَارَاتِ مَوْقُوعٍ أُسْقِيَتْ صَوْبَ الْمُثَلَّثَاتِ الْمَرَابِيعِ



- ن -

[٩٦] وَدَارَةُ النَّشَاشِ^(١).

[٩٧] (وَ دَارَةُ النَّشَاشِ).

وهو ماء لبني نُمَيْرٍ في جبال الحاجرِ.
قال دِهْقَانُ بن شَبَلِ بن حصين التُّمَيْرِيُّ:
سَلُّوا دَارَةَ النَّشْنَشِ عَنَّا وَعَنْكُمْ وَمَلْحَمَةً أَمَسْتُ مِنَ الطَّيْرِ مَعْلَمًا
وقال الأَخْضَرُ التُّمَيْرِيُّ:
سَلُّوا دَارَةَ النَّشْنَشِ عَنَّا وَعَنْكُمْ عَشِيَّةً جَاشَتْ بِالنَّجِيعِ شَمَائِلُهُ
[٩٨] ودَارَةُ النَّصَابِ
قال الأَفْوَهُ الأَوْدِيُّ^(١):
تَرَكْنَا الأَزْدَ يَبْرُقُ عَارِضَاهُ عَلَى نُجْرٍ بَدَارَاتِ النَّصَابِ
ويُرْوَى: الهَضَابِ.



- و -

[٩٩] ودَارَةُ وَاحِدٍ.
وواحد جبلٌ معروفٌ لبني عَدِيٍّ بن جنابِ.
قال شَرِيحُ بن جَوَّاسِ بن قَعَطِلِ، وهو إسلاميٌّ:
سَقَى اللهُ أَيَّامًا بَدَارَةَ وَاحِدٍ وَأَيَّامُنَا بِالْقَعَطَلِيِّ الخَوَالِيَا
القَعَطَلِيُّ: ماءٌ.
[١٠٠] ودَارَةُ وَاسِطٍ.
قال^(١):
بِمَا قَدِ أَرَى الدَّارَاتِ، دَارَاتِ وَاسِطٍ فَمَا قَابَلْتُ ذَاتُ الصَّلِيلِ فَجُلْجُلُ

قال النابغة الحارثيُّ، واسمه يزيدُ بن أبان بن عمرو بن حزن بن زياد بن الحارث :

فَنَقُورِي فَجُلْجُلٍ فَبُؤَيْنِ فَبَدَارَاتٍ وَأَسِطٍ فَعَسِيبِ
وقال القتالُ الكلابيُّ :
لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ دَارَةٍ وَأَسِطٍ لَدَيْكَ لَوْلَا عِزَّةُ اللَّهِ مُسْلِمٌ
وقال أعرابيٌّ قَتَلَ ذُبَّابًا :
أَقُولُ لَهُ وَالنَّبْلُ يَلُوي إِهَابَهُ إِلَى جَانِبِ الْمَغْرَاءِ يَا ثَارَاتِ
قَلَائِصُ أَصْحَابِي وَعَنْزِي وَلَمْ أَكُنْ إِذَا مَا كَبَا الرَّعْدِيدُ دُو كَبَوَاتِ
فَأَقْتَدْتُ مِنْهُ أَهْلَ دَارَةٍ وَأَسِطٍ وَأَفْصَلُهُ يَصْدُرُّنَ مُنْحَدِرَاتِ
[١٠١] ودارةٌ وَسَطٍ، وقد يُحْرَكُ.

ووسطُ جبلٍ عَظِيمٌ طَوِيلٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ ضَرْبِيَّةٍ، لِبَنِي جَعْفَرٍ.
[١٠٢] ودارةٌ وَشَحَى^(١).

ووشحَى : ماءٌ بِأَبَانَ، قال ذلكُ ابنُ الأعرابيِّ.
قال هُدَيْلُ بنُ سَمَاعَةَ^(٢) :

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَسْفَلَ عَاتِلِ وَدَارَةٍ وَشَحَى لِلْهُوَى لَتَبُوعُ
وقال المرَّارُ بنُ سعيدِ الفَقْعَسِيِّ^(٣) :
حَيِّ الْمَنَازِلَ هَلْ مِنْ أَهْلِهَا خَبْرٌ بِدُورِ وَشَحَى سَقَى دَارَاتِهَا الْمَطْرُ
وقال محمد بن بن عبد الملك الفقعسيُّ :

نَظَرْتُ بِصَحْرَاءِ الْجَزِيرَةِ نَظْرَةً أَجَدَّ بِهَا إِصَادُهَا وَأَنْصَابُهَا

وَأَتَّبَعْتُ أُخْرَى مِثْلَهَا بَطْنَ ثَادِقٍ فِدَارَةٌ وَشَحَى حَيْثُ طَابَ تُرَابُهَا



- ه -

[١٠٣] ودارة هَضْبِ الْقَلِيبِ.

قال جميل^(١):

أَشَاقَكَ عَالِجٌ فَإِلَى الْكَثِيبِ إِلَى الدَّارَاتِ مِنْ هَضْبِ الْقَلِيبِ



- ي -

[١٠٤] ودارة الْيَعْضِيدِ.

قال:

أَوْ مَا تَرَى أَطْعَانَهُمْ مَحْزُوءَةً^(١) بَيْنَ الدُّخُولِ فِدَارَةَ الْيَعْضِيدِ

وقال آخر^(٢):

راحتها الحادي بهيدٍ صيدٍ

لقربٍ قَسَاقِسٍ كَوُودٍ

فَصَبَّحَتْ مِنْ دَارَةِ الْيَعْضِيدِ

قَبْلَ هُتَافِ الطَّائِرِ الْغَرِيدِ

[١٠٥] ودارة يَمْعُزٍ^(١). وقال ابنُ فارس: يَمْعُون، بالثُّون، وكذا رواه

الأحول عن ابن الأعرابي بالثُّونِ أَيْضًا^(٢).

قال:

نَكَرُ الْجِيَادَ الْجَوْدَ فِي عَرَصَاتِهِمْ بَدَارَةَ يَمْعُونَ إِلَى جَنْبِ خَشْرَمٍ
فَأَمَّا قَوْلُ خَلْفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيرِيِّ يَهْجُو مِرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ :
وَمِرْوَانُ قِرْدٌ بَيْنَ بَابٍ وَدَارَةٍ يَرَى مَا يَرَى الْخَبُّ اللَّيْمُ وَيَسْمَعُ
وَقَوْلُ مَكِيثِ بْنِ معاويةَ بْنِ جُزَيِّ بْنِ عُمَرَ بْنِ ثعلبةَ :
أَرَى نَاقِيَّيَ قَدْ مَلَّتِ الْحَبْسَ وَاجْتَوَتْ أَوَارِيَهَا مِنْ دَارَةِ ابْنِ الْعَمَرِدِ
وَقَوْلُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ^(٣) :
فَمَا زِلْتُ أُسْقَى بَيْنَ قَصْرِ وَدَارَةٍ بَنَجْرَانَ حَتَّى خَفْتُ أَنْ أَتَنَصَّرَا
وَقَوْلُ الشَّاعِرِ ، وَأَنشَدَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِي "جَمَهْرَةِ النِّسَبِ" الْبَيْتَ الثَّلَاثَ
لِعَدِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ ، وَلَمْ أَجِدْهُ فِي شِعْرِهِ .
وَأَشْعَثَ قَدْ نَبَّهْتُهُ بَعْدَ نَوْمَةٍ لَهُ حَلْبٌ يَرْمِي بِسَوْمٍ مُخَدَّعٍ
أَشَارَ بِهِ مَنْ بِالْكُنَاسَةِ خَابِرٌ إِلَى دَارَةِ الْكَلْبِيِّ مِنْهُ بِإِصْبَعٍ
عَلَى ذِي مَكَانٍ تَعْرِفُ الْعَيْسُ مَتْنَهُ كَمَا تَعْرِفُ الْأَضْيَافُ دَارَ الْمُقَطَّعِ
وَيُرْوَى : عَلَى ذِي مَنَارِ .
وَقَوْلُ بُدَيْلِ بْنِ سَلَمَةَ الْحَبْتَرِيِّ :
حَبَسْنَاهُمْ فِي دَارَةِ الْعَبْدِ رَافِعٍ وَعِنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبَسًا غَيْرَ طَائِلِ
وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :
وَكَيْلَةٌ بِدَارَةِ الْمُقَطَّعِ مَا أَوْى الضُّيُوفِ مَطْعَمٍ وَمَشْبَعِ

فإنّ هذه من دارات العرب، وإنّما هي دُورهم التي تختص بهم، وهذه أسامي أصحاب الدُور؛ ودَارَاتُ العرب مُضافة إلى جِبَالٍ، ومِيَاهٍ، وأمُكِنَةٍ.

(للبحث صلة)

الهوامش:

- * نُشر القسم الأول من هذا البحث في العدد (ج ٧ و ٨ محرم وصفر ١٤٢٢هـ/إبريل ومايو نيسان وأيار ٢٠٠١م) من ص ٣٣٨ إلى ص ٣٥٢. وهذه القسم الثاني من البحث.
- * مركز حماية المخطوطات العربية، إسلام آباد، باكستان.
- [٢٩] ١. العباب الزاخر واللباب الفاخر، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، نسخته الخطية (حتى مادة: بكم) موجودة بمكتبة آيا صوفيا بإستنبول (خزر)؛ ومعجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق: وستنيلد، ليزنك، ١٨٦٦م، ٥٢٩/٢ و ٤٧٧/٢.
٢. العباب: (خزر)، وديوان الخطيئة ٦٣، وسمط اللآلي، أبو عبيدالله البكري، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ١٣٥٤هـ، ٧٠٤؛ ومعجم البلدان، ٥٢٩/٢.
٣. العباب (خزر)، ومعجم البلدان ٥٢٩/٢؛ باختلاف يسير. وأمّا ما قال الأستاذ حمد الجاسر (مجلة العرب ١٠/١/٤) ضمن دارات الخنازير وخنزر والخنزرتين والخنزيرين والخنزيرتين، وجمعها في دارة خنزير، فكلمة مهمة.
- [٣٠] ١. وما قيل عن هذه الدارة في مجلة العرب (١١٣/٢/٤) من "إنّما ذكرها صاحب القاموس فقط" ليس بصواب؛ لأنّ الفيروز آبادي نقلها من العباب، ولم يذكره، كذلك فعل الزبيدي، راجع تقديم هذه الرسالة.
- [٣١] ١. معجم البلدان، ٥٢٩/٢.
- [٣٢] ١. إنّ تحديد الصغاني لهذه الدارة أوضح مما جاء ذكرها في مجلة العرب ١١٣/٢/٤.

- [٣٤] ١. معجم البلدان ٢/٥٣٠، باختلاف يسير.
- [٣٥] ١. وشاهدها عند البكري (معجم ما استعجم، أبو عبدالله البكري، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٥م، ٥٣٤)، وفيه قال عمرو بن براق الهمداني:
- وهم يكدون أي كدّ من دارة الدُّب بمجرهّد
- وهو نفس الشاهد الذي أورده الصغاني للدارة التالية كذلك.
- [٣٦] ١. وفي الأصل: "وهي وهما".
٢. كذا عندنا، وفي المؤلف والمختلّف للأمدي، القاهرة: ١٣٥٤هـ، ص ٦٦. عمرو ابن براق، ومعجم ما استعجم ٥٣٤، ومثله في سمط اللآلي ٧٤٩. وأراها خطأ.
- [٣٨] ١. معجم البلدان ٢/٥٣٠، باختلاف يسير.
- [٣٩] ١. تفرّد بذكرها الصغاني.
- [٤٠] ١. في بغية الوعاة ص ١٥، محمد بن أحمد بن عمر الخلال، أبو الغنائم اللغوي. وفي معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: د. أحمد فريد وجدي، القاهرة: دار المأمون، ١٣٥٥هـ، ٦/٣٢٥: إمام عالم جيّد الضبط، صحيح الخط، معتمد، أخذ عن السيرافي، والرّماني، والفارسي، والطبقة.
٢. معجم البلدان ٢/٥٣١.
- [٤١] ١. معجم البلدان ٢/٥٣٠.
- [٤٢] ١. نفس المصدر ٢/٥٣٢.
- [٤٣] ١. ديوانه: ١٠٠، ومعجم البلدان ٢/٥٣٢، البيت الثاني فقط.
- [٤٤] ١. معجم البلدان ٢/٥٣١.
- [٤٥] ١. أبو عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر، المعروف بالخالع، شاعر وأحد كبار النحاة. كان إماماً في النحو واللغة والأدب، وله شِعْر. توفي سنة ٣٨٨هـ. أخذ عن أبي علي الفارسي والسيرافي وغيرهما. ويقال إنه من ذرية معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما. له من التصانيف كتاب الأودية والجبال والرمال، وكتاب

الأمثال، وكتاب تخيلات العرب، وشرح شعر أبي تمام، انظر: معجم الأدباء ١٥٥/١٠. ولم يذكر في المصادر كتابه الدارات في جزيرة العرب، وأبقى لنا عنوانه الصغاني، رحمه الله تعالى، واستفاد منه في عمله.

٢. تفرّد بذكرها الصغاني، نقلاً من كتاب الخالغ.

٣. انظر: ديوانه: ٣٠٥، ومعجم البلدان ٨٨١/٢.

[٤٦] ١. في تاج العروس (دور)/سعر، بفتح السين وكسرها. وما ورد عن اسم هذه الدارة في مجلة العرب (١١٩/٢/٤) من "أنها بالسين المعجمة، وهذا تصحيف"، لا أرى فيه صواباً، على الأقل في ضوء ما قدّم الصغاني من شاهدين على هذه الدارة. لاشك فيه أنّ في القاموس وشرحه تسربت تصحيفات وتحريفات، خاصة لدى طباعتها، لكنهما حيث نقلا عن الدارة من كتب الصغاني، وهو الذي جيّد الضبط وأصوب الإتيان في روايات الأبيات وكلماتها، وهو جاء بشاهدين عن هذه الدارة والكلمة فيها بالسين المهملة، فنحن لا نرى وجهاً أن لا تقبلها.

٢. انظر عنها في معجم البلدان ٢٩٢/٣.

[٤٧] ١. معجم البلدان ٥٣٢/٢، وفيه شرفتها مكان شريقها.

[٤٩] ١. هو الميدان بن صخر بن الكميت بن نوفل بن نضلة بن الأشر بن حجران بن فقعس الأسدلي، شاعر إسلامي، انظر: معجم الشعراء، أبو عبدالله محمد بن عمران المرزباني، القاهرة: ١٣٥٤هـ، ٤٢٦؛ والبيت في معجم البلدان ٧٩٠/٤، باختلاف الرواية.

[٥٠] ١. معجم البلدان ٥٣١/٢، بالأصل: لكم مكان ألم نترك.

[٥١] ١. معجم البلدان ٥٣٢/٢.

٢. ديوانه ٢٨٠، ومعجم البلدان ٥٣٢/٢.

٣. العباب: (نور)، وكان بالأصل تَشْفَى. والصواب من العباب.

[٥٤] ١. تفرّد بذكرها الصغاني.

٢. وبالأصل: ينطيل.

- [٥٥] ١. وفي معجم البلدان ٦٧٢/٣ : داره عسعس لبني جعفر.
٢. تطابق هذه العبارة بما وصف أبو علي الهجري بأنه جبل عسعس في داره وسط. ويبدو أنّ داره وسط ودار عسعس قريبتان.
٣. من معجم البلدان ٥٣٢/٢ ، وفيه أربعة أبيات ، وبمكان آخر من نفس المصدر ١٧٣/٣ ثلاثة أبيات. وبمكان ثالث ١٠٥/٤ نفس الأبيات باختلاف يسير.
- [٥٧] ١. لم أجدّها في مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، القاهرة : عيسى البابي الحلبي ، ١٣٦٦هـ ، لعله ذكرها في كتابه عن دارات العرب وبرقها.
- [٥٨] ١. في الأصل : عضب ، والصواب في معجم البلدان ٥٣٢/٢.
- [٥٩] ١. وردت الكلمة بالضم في تاج العروس ، وعندنا لم تضبط.
٢. العباب : (صمهج).
- [٦٠] ١. العباب : (عوج).
- [٦١] ١. الغُبَيْر ، معرّف باللام عند الصغاني.
- [٦٣] ١. المفضليات ، تحقيق : يعقوب لائل ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٢٠م ، ٣٣٥ ، ومعجم ما استعجم ٩٩٠.
- [٦٤] تفرّد بذكرها الصغاني.
- [٦٧] ١. العباب : (لهب) ، واللسان : (فرع) ، وفيه للبريق الهذلي.
- [٦٨] ١. التكميل في معجم البلدان ٥٣٣/٢.
- [٧٠] ١. في شرح الحماسة للمرزوقي ، أحمد بن محمد بن الحسن (١٨٢٢-١٨٢٤) ، تحقيق : أحمد أمين وعبدالسلام هارون ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١م ، دون عزو ، وفيه أربعة عشر مشطور. وفي معجم البلدان ٥٣٣/٢ ، كذلك دون عزو.
- [٧١] ١. وقالها آخرون بالكسر ، وبالضم عند صاعد بن الحسن ، انظر معجم ما استعجم ٥٣٦.

[٧٢] ١. معجم ما استعجم ٥٣٦، واللسان: (قلت، ضوع) وفي ديوانه ص ١٣٢ :

لِحْتَمِمْ فَالْفُؤَادُ بِهِ مَرُوعٌ

٢. هو محمد بن الحسن بن دينار الأحول الكوفي، كان حياً سنة ٢٥٩هـ. أديب، عالم بالعربية، حدّث عن محمد بن زياد بن الأعرابي، وروى عنه نفظويه النحوي ومحمد بن العباس اليزيدي، وقرأ ديوان عمرو بن الأهتم في سنة ٢٥٠هـ. من آثاره: **الدواهي، السلاح**، وغيرهما من الكتب. وإنه جمع دواوين شعراء، انظر **معجم المؤلفين**، تراجم مصنّفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، دمشق: المكتبة العربية، ١٩٥٧م، ١٩١/٩.

٣. **معجم البلدان** ١٥٨/٤، وعزاه إلى الأعشى، وروايته:

شربت الرّاح بالفلّتين حتّى حسبت دجاجةً مرّت حمّاراً

٤. وحدّد مكان هذه الدارة في **مجلة العرب** ٢٥٢/٣/٤.

[٧٣] ١. كذا، وفي **معجم البلدان** ١٧٧/٤: جبل بخبير عليه حصن أبي الحقيق اليهودي. وهذا المسمّى آخر.

[٧٥] ١. حدّد مكانها الأستاذ حمد الجاسر، راجع: **مجلة العرب** ٢٥٤/٣/٤-٢٥٥.

[٧٧] ١. انظر: **معجم ما استعجم** ٥٣٧.

٢. **معجم البلدان** ٨٣٢/١، ٥٣٣/٢.

٣. وحدّد مكانها في **مجلة العرب** ٢٦١/٣/٤، ٥٧٢/٦/٤-٥٧٤.

[٧٨] ١. لافظ، بالفاء والطاء، ولا بالقاف.

[٧٩] ١. كذا بالأصل، وفي **نقائض جرير والفرزدق**، تحقيق بيون، ليون: مطبعة برييل، ١٩٠٥م، ص ٣٨٨: عمرو.

٢. وابنا هُتَيْم، هما من بني عمرو بن كلاب، قتلها بنو ضبّة يوم دارة مأسل، وهو يوم أخذوا إبل النعمان. وفي **معجم البلدان** ٥٣٣/٢: بابن غول مكان يوم غول، عندنا؛ وابني هُشَيْم مكان ابن هُتَيْم.

٣. ديوانه ٥١٣، و**معجم البلدان** ٥٣٣/٢.

[٨٠] ١. ولتحديد مكانها انظر قولاً موسعاً للأستاذ حمد الجاسر في مجلة العرب ٣٤٥-٣٤/٤/٤.

٢. كذا، وفي معجم البلدان ٤١١/٤ : العُمَيْلي.

[٨١] ١. معجم ما استعجم ٥٣٧.

[٨٢] تفرّد بذكرها الصغاني.

*** العربيه :** في أصل البحث البيت مكسور، ولم نجد له مصدراً نصّحّه عليه.

أ.م.ض.

[٨٣] ١. عن هذه الدارة كلمة موسّعة في مجلة العرب ٣٤٨-٣٤٥/٤/٤.

[٨٤] ١. حدّد مكان هذه الدارة الأستاذ حمد الجاسر، انظر مجلة العرب ٤٢٧/٥/٤.

[٨٥] ١. تفرّد بذكرها الصغاني.

[٨٦] ١. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني،

ط٢، القاهرة: دار الكتب المصري، ١٩٥٥م، ١٠٠؛ مختار الشعر الجاهلي،

محمد السقا، القاهرة: ١٩٤٩م، ٢٣٦/١؛ معجم البلدان ٥٣٤/٢؛ مقاييس

اللغة ٥٠٦/٤، وبدون عزو فيه ٣١٢/٢.

[٨٨] ١. في معجم البلدان ٥٨١/٤ : بالفتح ثم بالسكون وفتح الياء. وفي تاج العروس

(دور): كزُبَيْر، وقيل كأمير. والصواب ما أثبتناه في ضوء البيت المحتج به.

[٨٩] ١. معجم البلدان ٥٣٤/٢؛ ومعجم ما استعجم ٥٣٨، وقال البكري: هكذا رواه

محمد بن حبيب وذكره صاعد دارة مُكْمِن.

[٩٠] ١. وبالأصل: ملحون.

[٩١] ١. وفي مصادر أخرى معرّف باللام.

[٩٢] ١. عن هذه الدارة قول فيصل للأستاذ حمد الجاسر: لا شك أنّ منور ومنزر

تصحيف خنزر. وثم حدّد مكانها، راجع مجلة العرب ٤٣٣/٥/٤.

٢. انظر دارة خنزر، الرقم ٢٩، أعلاه.

[٩٣] ١. وفي معجم البلدان ٥٣٤/٢ : مواضع، لعلها دارة أخرى.

- [١٩٤] ١. وفي المفضليات: ٦٤، ومعجم البلدان ٥٣٤/٢؛ ومعجم ما استعجم ٥٣٨.
- [١٩٥] ١. تفرّد بذكرها الصغاني.
- [١٩٦] ١. كذا بالأصل. وأعتقد أنّ مادة وصف هذه الدارة واسم دارة النشاش التالي قد سقطت من الناسخ، كما يؤدنا ما ورد في البيتين التالين، من اسم النشاش.
- [١٩٨] ١. معجم البلدان ٥٣٥/٢، وبالأصل ثخن مكان ثجر.
- [١١٠٠] ١. معجم البلدان ٥٣٥/٢.
- [١١٠٢] ١. انظر لوصف هذه الدارة معجم ما استعجم ٥٣٥.
٢. نفس المكان.
٣. نفس المكان.
- [١١٠٣] ١. ديوانه ٣٥، معجم البلدان ٥٣٥/٢. عن هذه الدارة وتحديد مكانها كلام طويل للأستاذ حمد الجاسر في مجلة العرب ٤/٥/٤٣٨-٤٤٩.
- [١١٠٤] ١. كذا بالأصل، وفي معجم البلدان ٥٣٦/٢: مجرورة.
٢. معجم البلدان ٥٣٦/٢. وللأستاذ حمد الجاسر كلمة طويلة عن هذه الدارة، انظر مجلة العرب ٤/٧/٦٢٦-٦٣٤.
- [١١٠٥] ١. عن هذه الدارة وشاهدها، انظر كتاب الدارات، المنسوب إلى الأصمعي ١٠.
٢. كذا أوردها ياقوت في معجم البلدان ٥٣٦/٢، وقال: ويروى بالزاي، وأورد شاهدها التالي.
٣. انظر: جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، القاهرة: ١٣٠٨هـ، ١٤٥، باختلاف يسير.

الإبل في الأندلس

بقلم: د. خالد بن عبد الكريم البكر*

يُنسَب إلى الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) رضي الله عنه قوله: "إنَّ العرب لا تصلح بأرضٍ لا تصلح بها الإبل"^(١). قال ذلك عقب لقائه بالعرب الوافدين إليه من المدائن وما لاحظته على هيئتهم من تغيّر في أجسامهم واختلاف ألوانهم، فأمر عندئذ بارتياذ منزل بري بحري، فاخْتُطت الكوفة سنة (١٧هـ/٦٣٨م).

وسواءً أكانت مقولة عمر رضي الله عنه تدل على ملاحظة بيئية ذكية ربطت بين المناخ في كل إقليم وخصائص ساكنيه، أم أنها تكشف عن مدى التلازم الوثيق بين العرب وسوائهم التي امتطوا ظهورها فاتحين؛ فإنها في النهاية جاءت لتؤكد أنّ العرب دخلوا البلاد المفتوحة بعقيدتهم، ولغتهم، وإبلهم أيضاً. فلا نكاد نجد إقليماً من تلك الأقاليم إلا ولالإبل فيه ذكرٌ مشهور. غير أنّ الوجود العربي في شبه الجزيرة الأيبيرية منذ أواخر القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، يثير تساؤلات للتحقق من تلك العلاقة الحميمة بين العرب والإبل في ذلك الجزء من أوروبا الذي افتتحه المسلمون؟

فالأندلس نطاقٌ جغرافي ومناخي يختلف عما ألفه العرب من قبل، فأرضها جبلية تكسوها الثلوج في مواسم الشتاء، وأنهارها كثيرة تربو على الأربعين نهراً بتفرعاتها وجداولها^(٢)، تمتدّ من الشرق إلى الغرب وتفيض عند نزول الأمطار، وتلك معطيات جغرافية لا تتناسب مع حركة الإبل وخصائصها الصحراوية. فكانت البغال والحميز والخيول هي الدواب المستعملة في النقل وجرّ الأثقال، وفي أوقات الحروب، وحينما تحدّث المقرئ^(٣) عن حيوانات الأندلس لم يُشر إلى الإبل من بينها، ومن ثم فإن كان هناك وجودٌ للإبل في تلك البلاد فهو مما أدخله العرب والبربر إليها في فترات لاحقة من الوجود الإسلامي في المنطقة.

لقد عزّز ابن خلكان^(٤) إشارة المقرئ السالفة، فأكد أنّ الأندلس لم ترَ الإبل قط قبل عبور المرابطين إليها في عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، وتُعضدّ الوقائع التاريخية هاتين الإشارتين عن مسألة وجود الإبل في الأندلس، إذ لا أثر لها في حياة الناس اليومية وتنقلاتهم فيما بين أيدينا من المصادر، لاسيما ما يتعلق بفترة عصر الولاة وعصر الإمارة الأموية خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين. فهل استغنى العرب عن الإبل في الأندلس؟

حينما ننظر في الروايات الخاصة بفتح الأندلس، لا نكاد نعثر على أدنى إشارة إلى وجود الإبل ضمن عُدّة الجيش الفاتح، ولا في عُدّة الجيش القوطي، فلذريق Rodrigo آخر ملوك القوط، خرج للقاء القائد طارق بن زياد، وهو على سرير تحمله ثلاث بغلات مقرونات وعليه قبة مكلّلة

بالدّرّ والياقوت^(٥). وقل مثل ذلك في معارك العرب خلال عصر الولاة (٩٢-١٣٨هـ/٧١٠-٧٥٥م)، إذ لا نجد في مصادرنا إشارة عن الإبل لا في عدّة الجيش ولا في الغنائم. وفي تنقلات الأمراء من مدينة إلى أخرى كانت البغال هي المركوب المفضّل، فعبد الرحمن (الداخل) بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)، مؤسس الإمارة الأموية بالأندلس، حينما بلغه تخوّف أنصاره من اليمانية من إمكانية فراره من أرض المعركة ضد خصومهم القيسيين يوم المصارّة (التاسع من ذي الحجة سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م)، أراد أن يُبدّد أوهامهم وأن يُثبت لهم أنه وطنّ نفسه على القتال، فترك فرسه الأشقر، وركب بغلاً أشهب لزعيم اليمانية أبي الصباح اليحصبي، مُعللاً هذا التصرف بقوله: "ليس في عسكرينا بغلٌ أوفق من بغلك، فإنّ هذا الفرس يقلق تحتي، فلا أقدر على ما أريد من الرمي من قوسي، فخذ فرسي وهات بغلك، وإني أحب أن تكون تحتي دابة تُعرف إن حال الناس"^(٦).

وحينما عقد الداخل الصلح مع زعيم القيسية الصّميل بن حاتم واصطحبه معه من البيرة^(٧) إلى قرطبة^(٨)، أثنى على مسأيرته معه قائلاً: "لقد صحبني من البيرة إلى قرطبة ما مسّت ركبتك ركبتك ولا تقدم رأس بغله رأس بغلي، ولا استفهمني في حديث، ولا افتتح حديثاً بغير أن يُسأل عنه..."^(٩).

فالنص واضح في أنّ الزعيمين كانا يركبان البغال لا الجمال.

وكذلك كان الأمراء الأمويون في عصر الإمارة يخرجون من قصورهم إلى الجامع أو إلى المقبرة على البغال، فالأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) كان يتفقد البناء في المسجد الجامع على

بغلته^(١٠). ويروى أنّ الأمير المنذر بن محمد ٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م أرسل إلى الثائر عمر بن حفصون (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م)^(١١) بعد أن أظهر الطاعة مئة بغل يحمل عليها جُملة متاعه وعياله ليأتي إلى قرطبة^(١٢).

ويصف الأمير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (الذي تلقب فيما بعد بالناصر لدين الله) مشهد خروجه من قرطبة إلى مَنية الرُّصافة^(١٣) بصحبة جدّه الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، فيقول: "ركبت معه يوماً إلى ناحية الرُّصافة للنزهة فأدركه وقت صلاة فريضة فنزل لقضائها في الصحراء، فبادرت للترجل عن بغلي للأخذ بركابه قضاءً لحقه، ووفاءً ببرّه، فأهملت البغل وسائسي على بُعدي مني لم يدن من مكاني لخصوصيته، فذهب البغل على وجهه هارباً واتبعه فرسان الموكب راكضين فأعنتهم، وطال مقامي قائماً على قدمي حتى أخذوه فردّوه إليّ، وشقّ ذلك على الأمير جدي..."^(١٤). هذا النص يصوّر مشهداً وقع أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وهو يُبيّن بجلاء أنّ البغال كانت هي وسيلة النقل الأولى داخل المدن وخارجها، ويستوي في اتخاذها الأمراء ومن في حكمهم من الخاصة، وكذلك عامة الناس على اختلاف مواقعهم الاجتماعية، فقد كان القضاة يربطون بغالهم على أبواب المسجد الجامع^(١٥)، ومنهم من يتنقل من قرطبة إلى ضيعة على بغلته^(١٦). وقد أكد ابن حوقل هذا الواقع التاريخي في الأندلس فقال عنها إثر زيارته لها: "تختص بالبغال الفرّه وبها يفاخرون ويتكاثرون"^(١٧). وعدد ابن حوقل مزايا البغال التي رآها بالأندلس، فذكر أنها تمتاز بحُسن السير وسرعة المشي

واختلاف الألوان الصافية مع الصبر على الكدّ والعسْف ؛ ولذا فقد رغب فيها الأمراء فكانوا يؤثرونها فيما يركبون^(١٨). وقد بلغ سعر البغلة الواحدة في قرطبة ما يقارب الخمس مئة دينار نظراً لحُسْنها وعلوّها الزائد^(١٩)، ويُعزّز ذلك ما روي عن عبد الله بن محمد الثقفي (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) من أنه كان يسير إلى باديته راجلاً ولو شاء ركب الدواب لسعة حاله^(٢٠).

يُستفاد من الإشارات التي أوردناها أعلاه أنّ الجمال لم تكن موجودة بالفعل في الأندلس حتى منتصف عصر الإمارة الأموية تقريباً، ويؤكد ذلك ما جاء في إحدى النوازل الأندلسية على لسان الفقيه عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م)^(٢١)، الذي أكد أنّ بلادهم تخلو من الإبل، إذ قال: "قلت لأصبغ: فإن نزل هذا في بلد لا إبل فيه مثل الأندلس، قال: ينظر إلى قيمة الإبل، في أقرب البلاد إلى الأندلس، عن قيمة الدية المغلظة من الإبل"^(٢٢).

على أنّ سنة وفاة الفقيه عبد الملك بن حبيب هي نفسها سنة وفاة الأمير عبدالرحمن بن الحكم، واعتلاء ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) كرسي الإمارة من بعده، وبوسعنا القول إنّ فترة حكم الأمير محمد للأندلس قد طرأت فيها بعض التغيرات في أصناف الثروة الحيوانية في الأندلس، إذ كان هذا الأمير مُعتنياً بجلب أصناف جديدة من الحيوانات التي لم تألفها بلاده من المشرق؛ وأشار ابن حيان إلى هذه النقطة فذكر أنه في أيام الأمير محمد دخل الأندلس من المتاع الفاخر والرياش النادر والحيوان المُستغرب والمُستطرف ما لم يدخل في أيام سابقه

من الأمراء^(٢٣). قدّم ابن حيان هذا الخبر مكتفياً بالإشارة دون الدخول في التفاصيل، وهو ما يتيح لنا الدخول في الاستنتاجات، إذ يسعنا القول هنا إنّ الإبل كانت من بين أصناف الثروة الحيوانية التي استطرفها هذا الأمير الأندلسي وجلبها إلى بلاده، ومن ثم بدأت الإشارات التاريخية إليها فما بعد على اقتضاب، فمنها ما روي من أنّ جثمان الأمير المنذر بن محمد نقل إلى قرطبة على ظهر جمل^(٢٤). ولكن تلك إشارة يتيمة -فيما أعلم- وهي أقدم إشارة إلى الجمل في الأندلس، تتلوها إشارة ثانية إلى جمل (وافد) مع صاحبه إلى الأندلس، إذ روى ابن حيان^(٢٥) خبر وفادة أبي محمد الأعرابي العذري من الحجاز على الزعيم العربي الثائر في إشبيلية أواخر عصر الإمارة الأموية، إبراهيم بن حجاج. فلما ذاق ثمر البلوط في الأندلس، قارن بينه وبين التمر، فأنشد في ناقته:

تجنُّ إلى البلوط حتى إذا أتتْ بلاداً بها البلوط حنَّتْ إلى النخل
لقد ذكّرتني أذرُعَات وهيجتْ غرامَ فؤادٍ سرّمد الحفّق والحبل

ومن غير الواضح ما إذا كانت ناقة العذري قد وفدت معه إلى الأندلس أم أنه أنشد بيتيه فيها. وبالتالي فإنّ اتخاذها حُجة على وجود الجمال ضمن وسائل النقل في الأندلس خلال تلك الفترة كما ذهب (بروفنسال)^(٢٦) يحتاج إلى الأناة والنظر.

يُطالعنا المقرئ بخبر هدية قدّمها أحد رجال الدولة الأموية وهو أحمد ابن عبد الملك بن شهيد إلى الخليفة الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-

٩٦١م) في جمادى الأولى من سنة (٣٢٧هـ/٩٣٨م)، وذكر من بين محتوياتها "ومن الظهر خمسة عشر فرساً من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت"، ومنها "عشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة لمراكب الخلافة"^(٢٧). ولم يذكر شيئاً عن الجمال، وهذا يدل على أنّ الإبل مطلع عصر الخلافة وإن كانت في رأينا موجودة إلا أنها لا تزال بأعداد محدودة جداً. لكن تلك الصورة اختلفت وتبدلت في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ لعل البداية التي نتوقع حدوثها مع فترة الأمير محمد قد أثمرت في عصر الخلافة، فتناجت الإبل وكثرت، حتى وجدنا ابن الفقيه^(٢٨) يشير إلى الإبل العراب من بين أصناف الثروة الحيوانية في الأندلس. وعزز ذلك أنّ الزعماء المتغلبين في العدو المغربية استكثروا في هداياهم إلى حكام الأندلس من الجمال، وما ذاك إلا لندرتها في الأندلس، فقد أهدى الأمير الإدريسي الحسن بن عيسى هدية للناصر سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م)، من بينها ثلاث وعشرون من كرام الإبل، فيها جمل مُبَدَّن كامل الخلقة والحلية من مطايا الملوك^(٢٩)، وفي السنة نفسها استقبل الناصر لدين الله هدية مُماثلة من العدو المغربية، أرسلها محمد بن خزر، وفيها "عشرة تُجب مخصية عجبية الخلق متخيرة في جنسها بسروجها وأرسالها وأزمتها وأجلالها وأرجواناتها وقرابيسها، معلقاً عليها درقات من نفائس درقات اللطم، وعشرين ناقة حوامل عشراً وغيرها، ومعها فحل لها جليل الخلقة رفيع البنية، معها راعيها عبد أسود ماهر برعي الإبل بصير بأدواتها"^(٣٠).

وظلت دبلوماسية الهدايا التي استعملها المغاربة تجاه خلفاء بني أمية في الأندلس نشطة ومتواصلة، إذ تلقى الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) مجموعة جديدة من الجِمال الواردة إليه من المغرب، فقد "وصلت إلى الزهراء الجِمال التي بعثها بنو خزر من العدو وكانت مئة وثلاثين جملاً"^(٣١). كما أهديت دواب الركوب والحمل إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر (٣٦٧-٣٩٢هـ/ ٩٧٨-١٠٠٢م)، ففي عام (٣٨١هـ/ ٩٩١م) بعث إليه زعيم زناته في المغرب (زيري بن عطية) عقب تنصيبه على فاس "بهدية عظيمة فيها مئتا فرس وخمسون جملاً مهرية سوابق، وألف درقة من اللمط، ودواب المسك والزرافة واللمط، وألف جمل موقرة بالثمر الطيب، فسُرُّ بها المنصور وكافأه عليها"^(٣٢).

من المنتظر بعد تلك الإهداءات المتتالية أن تزداد ثروة الأندلس من الإبل، حتى إنها قد بلغت في إحدى حملات المنصور بن أبي عامر (٣٩٠٠) جملاً لنقل المعدات الثقيلة، وكانت هذه الجِمال ترعى وقت السلم في سهول كورة مرسية الشاسعة^(٣٣). بل وكانت تستعمل في أغراض مختلفة داخل المُدن، فقد أشار ابن الأبار إلى أنّ المنصور بن أبي عامر حين ظفر بعبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي سنة (٣٨١هـ/ ٩٩١م) أمر بتقييده وطيف به على جمل ثم أدخله السجن^(٣٤). وفي عصر الطوائف كانت الجِمال مما يتهادى به الكبراء فيما بينهم، فقد وفد الأديب الشاعر أبو العرب العبدري الصقلي على المعتمد بن عبّاد في

إشبيلية سنة (٤٧٥هـ)، فدخل مجلسه يوماً "وقد أُدخل عليه جُملة وافرة" من دنانير الفضة فأمر له بخريطتين منها، وكانت بين يدي المعتمد صورٌ صيغت من عنبر من جُملتها صورةٌ جَمَلٍ مرصّع بنفيس الجواهر، فقال له أبو العرب مُعرّضاً: ما يحمل هذه الدنانير -أيديك الله- إلا جمل! فتبسّم المعتمد وأمر له به، فابتدأ أبو العرب مُرتجلاً:

أجدَيْتني جَمَلاً جُونًا شَفَعَت به جَمَلاً من الفضة البيضاء لو حُمِلا
يَتاجُ جُودِك في أعطانِ مَكْرُمَةٍ لا قد يُعرِّفُ من منع ولا عُقلا
فاعجب لَشَأني فشَأني كُلُّه عَجَبٌ رفهتني فحملتُ الحِمْلَ والجَمَلا^(٣٥)

وحين قبض باديس بن حبوس على أبي الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني، أمر به أعوانه فحلّقوا رأسه وأركبوه على بعير وخلفه أسود ضخّم يوالي صفعه، فأدخل غرناطة مُشَهَّراً بهذه الصفة وعلى هذه الحال^(٣٦).

وبمجيئ المرابطين -وهم أهل إبل- إلى الأندلس، تضاغت الإبل في الأندلس عمّا كانت عليه من قبل، فقد استخدمها يوسف بن تاشفين لُنصرة ملوك الطوائف في موقعة الزلاقة سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، وذهب ابن خلكان إلى القول بأنّ هذه هي المرة الأولى التي دخلت فيها الإبل على الأندلس، وعلّق قائلاً: "فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في آخرها وأمر بعبور الجمال، فعبر منها ما أغصّ الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملاً ولا كانت خيلهم قد رأت

صورها ولا سمعت أصواتها، وكانت تدعر منها وتقلق، وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأيٌ مصيب، كان يحدق بها معسكره، وكان يحضرها الحرب، فكانت خيل الفرنج تحجم عنها"^(٣٧).

وهي فكرة رفضها (العبادي)^(٣٨) واستدل لرأيه بنصوص تاريخية متفرقة تحدّثت عن وجود الجمال في الأندلس قبل ذلك التاريخ، وانتهى إلى القول بأنّ (ابن خلكان) ربما كان يقصد من روايته أنّ الأندلس عرفت الجمال لأول مرة على شكل فرق عسكرية مقاتلة من الآبالة، وليس لحمل الأثقال". كما رفض الفكرة (بروفنسال) واعتبرها مغالطة إذ لم تكن الأندلس تخلو من الجمال حتى وقت مجيئ المرابطين^(٣٩).

ومع وجاهة ما ذهب إليه الباحثان، إلا أنّ إشارتهما المطلقة بوجود الجمال في الأندلس قبل هذا التاريخ، ورفضهما ما أورده ابن خلكان جُملة واحدة، لا يبدو دقيقاً. فالجمال - كما مرّ بنا - لم تكن موجودة في الأندلس قبل الفتح ولا بعده، ومضى عصر الولاة بأكمله دون أن نقف على أدنى إشارات عنها، ومضى معظم عصر الإمارة الأموية أيضاً بنفس الوصف، حتى إذا انتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي أمكن لنا أن نستنتج من بعض الإشارات ما يسمح بتكوين صورة عن جلبها إلى الأندلس، ثم نتائجها طوال عصر الخلافة.

وفي وقتٍ كانت فيه الأندلس قد ضاعفت من ثروتها في الإبل؛ فإنّ الاستفادة من المصادر أنّ إسبانيا النصرانية لم تكن تعرف الإبل في القرن السادس

الهجري/الثاني عشر الميلادي، ففي غزوة الأرك سنة (٥٩١هـ / ١١٩٤م) كان من بين ما غنمه المسلمون من الفرنج أربع مئة ألف من الحمير "جاء بها الكفار لحمل أثقالهم لأنهم لا إبل لهم"^(٤٠).

وبعد، فإنّ الأثر الحضاري للإسلام في إسبانيا، لم يقتصر على الإنتاج العلمي الوفير الذي أبدعه المسلمون في تلك البلاد، ولا على ما استنبطوه في أرضها من محاصيل زراعية جديدة، كالبرتقال والنخيل والرمان، والتي جلبها عبد الرحمن الداخل من الشام؛ وإنما شملت كذلك أصنافاً من الثروة الحيوانية، تُعدّ الإبل من أهمها وأوفرها عددًا.

الهوامش:

* قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض.

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار التراث، د.ت)، ج ٤، ص ٤١.

(٢) المقرئ، أبو العباس أحمد بن محمد، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج ١، ص ٢٦٦.

(٣) المقرئ، نفع الطيب، ج ١، ص ١٩٨-١٩٩.

(٤) ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ج ٧، ص ١١٦.

(٥) ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك، الاكتفاء في أخبار الخلفاء - القسم الخاص بالأندلس، نشره أحمد مختار العبادي، صحيفة المعهد المصري، مدريد، ١٩٦٥م، ص ٤٧.

(٦) مجهول المؤلف، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط ١، (القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ٨٢.

(٧) إلبيرة Elvira: كورة كبيرة تتصل بأراضي كورة قبرة، تقع إلى الجنوب الشرقي من قرطبة، وتكثر فيها البساتين؛ الحموي، ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج ١، ص ٢٤٤.

(٨) قرطبة Cordoba: تقع على نهر الوادي الكبير جنوبي الأندلس، على سفح جبل مُطل عليها يسمّى جبل العروس. بها مستقر خلافة الأمويين، لكنها اليوم ليست في مصاف المدن الإسبانية الكبيرة كبلنسية أو إشبيلية، من حيث اتساع الرقعة أو كثافة السكان؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٤٨م)، ص ٤٥٦؛ عنان، محمد عبد الله، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، (القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ص ١٨.

(٩) أخبار مجموعة، ص ٨٦.

(١٠) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، **المقتبس من أبناء أهل الأندلس**، تحقيق: محمود علي مكي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، القسم الثاني، ص ٢٢٠.

(١١) عمر بن حفص - المعروف بحفصون - بن عمر بن جعفر بن شتيم بن فرغلوش بن أذفونش. يعتبر من أكبر زعماء المولدين الذين حملوا لواء الثورة والعصيان في كورة رية ضد الحكم الأموي في الأندلس. استنزفت ثورته قدرًا كبيرًا من جهود الإمارة الأموية طوال الربع الأخير من القرن الثالث الهجري؛ ابن عذارى، أبو عبد الله أحمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: جورج كولان وليفي بروفنسال، (بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج ٢، ص ١٠٦؛ الحريري، محمد عيسى، **حركات المولدين في الجنوب الأندلسي في عصر الإمارة الأموية بالأندلس**، (القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ١٥.

(١٢) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، تحقيق: محمد سعيد العريان، (د.م: دار الفكر، د.ت)، المجلد الثالث، ج ٥، ص ٢٢١؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج ٢، ص ١١٧-١١٨.

(١٣) متنزه بناه الأمير عبد الرحمن الداخل في شمال غربي قرطبة.

- (١٤) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس في تاريخ الأندلس - عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام -، تحقيق: إسماعيل العربي، ط ١، (المغرب: دار الآفاق الجديدة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص ٦٠-٦١.
- (١٥) الخشني، محمد بن حارث، قضاة قرطبة، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م)، ص ٨٠.
- (١٦) الخشني، قضاة قرطبة، ص ٣٤.
- (١٧) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، صورة الأرض، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩م)، ص ١٠٩.
- (١٨) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٠. (١٩) المقرئ، فصح الطيب، ج ١، ص ٥٢٠.
- (٢٠) عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن شريفة، (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ت)، ج ٥، ص ١٦٥؛ ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ١، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج ١، ص ٣٨١.
- (٢١) أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي، من أهل إلبيرة ثم انتقل عنها إلى قرطبة. كان فقيهاً مشاوراً، وله مؤلفات في الفقه والتاريخ والأدب؛ ابن الفرضي، تاريخ، ج ١، ص ٤٥٩.
- (٢٢) ابن أبي زمنين، منتخب الأحكام، المجلد الثاني، ج ٩، ص ١٠٠١.
- (٢٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكّي، ص ٢٧٥-٢٧٧.
- (٢٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص ١١٩؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ٢٦.
- (٢٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق إسماعيل العربي، ص ٣٠.

- (٢٦) ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، النظم والمؤسسات والحياة الاجتماعية والفكرية، ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي وزميليه، ط ١، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م)، ص ١١٥، هامش ٧٦.
- (٢٧) المقرئ، نفع، ج ١، ص ٣٥٨-٣٥٩.
- (٢٨) ابن الفقيه الهمداني، أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، (ليدن: مطبعة برييل، ١٣٠٢هـ)، ص ٨٣-٨٤.
- (٢٩) ابن حيان، المقتبس، ٢٦٥/٥. م. ن. ٢٦٧/٥-٢٦٨. (٣١) م. ن. ١٥٠/٥.
- (٣٢) مجهول المؤلف، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بو باية، ط ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص ٢٢٤.
- (٣٣) ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ٩٧.
- (٣٤) ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط ١، (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م)، ج ١، ص ٢١٨.
- (٣٥) ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، ط ١، (تونس: دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢م)، ج ٥، ص ٢٧٩؛ ابن ظافر الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر، بدائع البدائه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (صيدا-بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص ٣٧٣.
- (٣٦) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج ٥، ص ٣٤٠.
- (٣٧) ابن خلكان، وفيات، ج ٧، ص ١١٦.
- (٣٨) أحمد مختار العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط ١، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ٢٠٠٠م)، ص ٤٠-٤١.
- (٣٩) ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص ١١٥، هامش ٧٦.
- (٤٠) المقرئ، نفع، ج ١، ص ٤٤٣.

أدباء في الظل عبدالله السليمان المزروع أنموذجاً*

بقلم: أ. محمد بن عبدالرزاق القشعمي*

ولد بالأحساء وتعلّم وعمل بالهند لدى التاجر النجدي عبد الله الفوزان، وكان ممن عمل معهم لدى هذا التاجر محمد السليمان الحمدان الذي عمل في ديوان الملك عبدالعزيز مع أخيه عبدالله السليمان وزير المالية. وقد تعلّم المزروع وأتقن اللغة (الأوردية) وعاد للعمل في بلاده بعد أن استقرت بها الأحوال، واستوطن مكة المكرمة منذ عام ١٣٤٤ هـ وبحكم معرفته السابقة بآل سليمان بالهند فقد عمل مع رجال الدولة، فكلف باستقبال الوفود القادمين من خارج المملكة وتنظيم شؤونهم والإشراف على سكنهم وإيصال طلباتهم إلى ذوي الاختصاص من رجال الدولة. وفي سنة ١٣٤٥ هـ/ ١٩٢٦ م أسند إليه العمل في (مكتب المطبوعات بمكة) التابع لوزارة الخارجية عند إنشائها للاطلاع على ما ينشر في الصحف العربية عن هذه البلاد وأهلها، وتقديمه للديوان الملكي ليعرض على الملك.

ثم نقل بأمر ملكي لإدارة أول دار للضيافة أنشئت في مكة في عهد الملك عبدالعزيز، ولم يطل عهده بها فانتقل للعمل في ديوان نائب الملك، فكان ذا نشاط بارز في المشاركة في كثير من الأعمال العامة من اجتماعية وثقافية، كإقامة حفلات الاستقبال والتكريم والتعارف لمشاهير المثقفين، ثم عمل في (المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر) مراقباً للمطبوعات في مكة المكرمة، ثم في (مديرية الأوقاف) حتى عام ١٣٦٦هـ حيث انتقل إلى (المعارف) إلى أن اختاره الله إلى جواره في ١٥ شعبان ١٣٨٥هـ (٦ ديسمبر سنة ١٩٦٥م).

ما سبق جزء مما قاله الشيخ حمد الجاسر في تقديمه لكتاب "وصايا أساطين الدين والأدب والسياسة للشُّبان" الذي طبع عام ١٤٠٧هـ باسم الشيخ عبدالله المزروع، أي بعد وفاته باثنين وعشرين عاماً. وقال الشيخ حمد في مذكراته "من سوانح الذكريات" أنه عند قدومه إلى مكة المكرمة عام ١٣٤٩هـ للدراسة في المعهد السعودي أسكنه الوزير عبدالله السليمان في (دار الضيافة) وكان المسؤول عن الدار عبدالله السليمان المزروع، فهو أول من عرف بمكة، وأنه وجد في المزروع جوانب مما تتصف به روحه من سلاسة ورقة، وصفاء من التعقيد وخلو من مظاهر التكلف والتصنع، وقد نشأت بينهما صداقة، وفتح له نافذة أطلّ منها إلى آفاق رحبة من عالم كان يجمله الجهل كله.. «... إنه عالم المعرفة الذي يتغذى بروافد من الثقافة الحديثة، مما تزخر به هذه المؤلفات، والمجلات

والجرائد، ومن اتصال مباشر برجال الفكر والأدب، ومن حضور مجتمعات وندوات، وكل ذلك مما لا عهد لي به، إن لم أكن أنظر إلى بعضه نظرة نفور واشمئزاز، متأثراً بما رسخ في ذهني من أنّ المعرفة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة محصورة فيما خلفه لنا سلفنا الصالح وما عداه لا خير فيه: كل العلوم سوى (القرآن) مشغلة إلا (الحديث) وإلا (الفقه) في الدين خير الأحاديث ما قد قال: (حدثنا) وما سوى ذلك وسواس الشياطين» وقال الجاسر عن المزروع: «... قلّ أن ترى ابن مزروع إلا متأبطاً كتاباً حديثاً، أو عدداً جديداً من مجلة، أو جريدة تحوي مقالة طريفة، وهو -بالنسبة لي- لا يكتفي بإعارتي ما أرغب في مطالعته، بل قد يقدم لي ما يتوخى أنني بحاجة إلى الاستفادة منه، ولا يقف عند هذا الحد، لقد كان يدفعني في بعض الأحيان للمشاركة ببعض ما أكتب مما لا أسيئ الظن بفهمه وعدم إدراكه أنه جدير بالاطراح والإهمال، فضلاً أن في إبرازه كشف ما يجب ستره، ومع ذلك فقد كان ذا أثر في اتجاهي الثقافي هذه الوجة التي لا أملك حيال سيطرتها علي إلا الاعتراف بفضله، وبفضل احتكاكي أثناء إقامتي في مكة بخيرة أدبائها وكبار مثقفيها، ممن نموا ذلك الاتجاه، وعمّقوه في إدراكي حتى كانت تلك النتيجة» ص ٣٠٥، "من سوانح الذكريات". بل ونجده يؤكد ما للمزروع من فضل عليه عند ترشيحه عضواً في (المجمع العلمي العربي) بدمشق عام ١٣٦٨هـ [١٩٤٨م]، إذ كتب بذلك للشيخ محمد بهجت البيطار.

واستعاد ذكرياته السابقة معه بالذات عند وداعه وهو في طريقه للالتحاق بالبعثة العلمية السعودية بالقاهرة عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م والمزروع يودعه ويوصيه بالاحتفاظ بمظهره العربي القح، فقد لبس الجاسر العباءة والعقال المقصب وغترة الشال الصوف وحتى النعال النجدية.

وقال ضمن ذكرياته معه: إنّ المزروع قد أطلعته على مقال عن وادي الحمض، في مجلة "المقتطف" لكاتب فلسطيني، فأوضحت له ملاحظات حوله، فلم أشعر بعد زمن إلا باسمي (حمد الجاسر / قاضي ينبع سابقاً) يتصدر مقالاً قصيراً عن وادي الحمض في تلك المجلة، وكان ذلك في عام ١٣٥٧هـ بعد فصلي من وظيفة القضاء في ظباء، ولم أكن يوماً ما قاضياً في ينبع. ومثل ذلك تعليقات في جريدة "منبر الشرق" ومجلة "الرسالة" المصرية التي كان المزروع يرسل لها هذه التعليقات أو الملاحظات التي يلاحظها الشيخ الجاسر. إضافة لذكرياته الطريفة معه عندما يجتمع شمل الأصحاب لسويجات في (قهوة عصمان) في أعلا أبطح مكة أو على ضفاف وادي وج في الطائف؛ ومن ذكر من أصحابهم الأساتذة عبدالله خياط وأحمد علي ومحمد الحسن الضبيب وغيرهم.

وقال: «.. وقلّ أن يمضي طويل وقت لا يتحفنا فيه أبو أحمد بجديد أو طريف، من صحيفة أو كتاب، أو نادرة، بل بادرة من بواده المؤسسة».

وقال الشيخ الجاسر في "من سوانح الذكريات" عن بداية معرفته بالمزروع بمكة المكرمة: «... ويقتضي الوفاء أن أشير -موجزاً- عن صلتي

بعبدالله المزروع، فلقد كان من ألمع من عرفت تلك الأيام، واستمر التواصل بيننا طيلة ستة وثلاثين عاماً حتى انتقل إلى العالم الآخر سنة ١٣٨٥هـ [١٩٦٥م] - رحمه الله -. لعل من أبرز صفاته تأنقه في ملبسه ومظهره ثم هو رجل طُلع، وخاصة فيما يتعلق بأحوال الثقافة الحديثة، قلّ أن يقرأ أو يسمع بخبر صدور كتاب، أو نشر مقال ذي إثارة في صحيفة إلا وكان من أوائل من يقتني ذلك الكتاب، أو يطلع على ذلك المقال ويشرك إخوانه بإطلاعهم على ذلك، وما وفد أديب أو شاعر أو صحفي أو سياسي معروف إلا ورأيت الشيخ عبدالله المزروع ملتفاً بذلك الوافد، التفاف المساعد المعرف به، وله من لطف الهندام، وحسن المظهر ما يهيب له ذلك، إنه - كما في المثل - (خراج ولاج) ذو اتصال بالوجهاء والأعيان من مختلف الطبقات، وكثيراً ما كان يحمل معه دفترًا يقدمه لذلك العالم أو السياسي أو المفكر ليسجل فيه ما يوجهه من نصائح لبني أمته؛ لقد أخذ من الثقافة بطرف ومن المعرفة بنصيب، وهو مع ذلك مغرم بالقراءة، وباقتناء ما يستطيع اقتنائه من المؤلفات الحديثة المتعلقة بتاريخ هذه البلاد، يُهدي كثيراً منها إلى أصدقائه؛ إن عمله لا يقتصر على ما يبذل من مساعدة إخوانه، بل يتعدى ذلك إلى محيط أعم وأشمل، ها هي حفلة تكريم تقام للشاعر خير الدين الزركلي يبدو الأستاذ المزروع قطب رحاها، وأخرى في استقبال حجّاج (جامعة فؤاد) من مشاهير أساتذتها يتصدر أبرز القائمين بها، ومحاضرة يلقيها عالم أو سياسي، يدويّ صوته

أثناء إلقائها، أو في التعقيب عليها، ثم هو فوق ذلك ذو اندفاع في فعل الخير بوجه عامّ، وفيّ لإخوانه، قريب من قلوبهم، خفيف الظل بينهم، شديد التحمّل لما يبدر من إساءة أحدهم إليه، بحيث يوهم بضعف الإحساس، ولاسيما حين يجابه بما يثير الغضب والكرهية، فيقابله بالابتسام وعدم الانفعال، لقد كان رجلاً طيباً بكل ما لكلمة (الطيب) من معنى».

وعندما كان الشيخ حمد الجاسر مراقباً للتعليم في الظهران سنة ١٣٦٤هـ نجد عبدالله المزروع يزوره هناك ويدعوه لمرافقته لزيارة بعض أصحابه بالبحرين، وكان الجاسر يعرف كثرة أصدقائه فيشترط عليه أن يتركه على حريته في اختيار السكن والمأكل فوافق، فرافقه إلى البحرين؛ ولهذا نجد الجاسر يقول في "من سوانح الذكريات": «.. وبمجرد وصولهم الميناء يجدون الشيخ حسن بن عبدالعزيز العجاني يستقبلهم ويدعوهم لركوب السيارة إلى بيته فحاول الجاسر الاعتذار بلا جدوى، فتعرّف في مجلس القصيبي على الشاعر إبراهيم العريض، وأغراه المزروع بزيارة مكتبة عظيمة تحوي أمهات الكتب فركب معه وإذا هو يدخل قصرًا كبيرًا، وإذا هو يفاجأ أنه قصر حاكم البحرين الشيخ سلمان بن حمد بن عيسى آل خليفة. وفي اليوم التالي أخذه إلى سعد الشمالان وتعرّف على ابنه عبدالعزيز الذي كان يرأس نادي العروبة ومن قادة الحركة الوطنية فيما بعد، والآخر عبداللطيف، الملحق الثقافي الكويتي في لبنان فيما بعد. وقد زارا نادي البحرين، وكان يضمّ مكتبة تحوي أنواعاً من الكتب

الحديثة، وأشهر المجلات العربية، كما تعرّف في هذه الرحلة على أحد علماء البحرين الشيخ محمد التاجر وابنه علي الذي أطلعهما على مكتبة والده ومخطوطاتها النادرة، كما زارا مكتبة (المؤيد) لبيع الكتب فرغم صغرهما إلا أنها تحوي كثيراً من المؤلفات الحديثة من منشورات مصر والعراق والشام وإيران والهند.

وقال الجاسر: إنّ المزروع قد توفي -رحمه الله- في ١٥ شعبان سنة ١٣٨٥هـ، وقد طبع من آثاره كتاب "وصايا أساطين الأدب والرياضة للشبّان" ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، أي أنه طبع بعد وفاته بأكثر من عشرين عاماً، وقد وجدت الكتاب أخيراً، وأنه من تقديم الأستاذ الجاسر وتمهيد ابنه الدكتور أحمد الذي قال في تمهيدته إنه التقى بالصدفة الشيخ علي الطنطاوي خارجاً من بيت الله الحرام فسأله عن الكراس النادر الذي جمعه والده -عبدالله المزروع- بخط يد كثير من الشخصيات والعلماء البارزين الوافدين للحج أو العمرة أو خلافه، وأنه عندما أخبر العائلة بذلك تفرغت شقيقته ليلي للبحث في مكتبة والدهم إلى أن عثرت عليه فكتبت تعريفاً بكل شخصية ورد ذكرها في الكتاب، وأنّ الكتاب عرض على الشيخ حمد الجاسر الذي كان لديه علم به، فتفضّل بكتابة مقدمته التي قال فيها: إنه وُلد بالأحساء ونشأ بها فسافر إلى الهند وعمل لدى التاجر عبدالله الفوزان مع محمد السلیمان الحمدان الذي عمل في ديوان الملك عبدالعزيز -رحمهما الله-.

قال الشيخ حمد الجاسر في تقديمه لكتاب "وصايا أساطين الدين والأدب والسياسة للشبان" «... لقد كان ملء أسماع إخوانه وأبصارهم، طيلة إقامته بينهم، وما أولئك الإخوة سوى الصفوة المثقفة من الأدباء والمفكرين من أهل هذه البلاد، ومن الوافدين إليها.. وكان -فيما وهبه الله من كريم الصفات- ذا ميزتين حَبَّبَتْهُ إلى الناس، وقَوَّتْ صلته بهم: كان طيِّب القلب، لا يحمل ضغينة في نفسه لأحد، وإن أساء إليه، ما دامت الإساءة لا تتجاوز حدود المعاملة الخاصة. وكان ذا نفس مجبولة على محبة فعل الخير، للخير نفسه لا لغاية أخرى، مع كل أحد، بقدر استطاعته.

إلى أن قال عن أسرته ومن أين جاء الشيخ عبدالله المزروع، قال: «... ولتلك الأسرة الكريمة سابقة في مؤازرة إمام الدعوة الإصلاحية الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- ولأنصاره من حماة تلك الدعوة من آل سعود، وكان حسن بن مزروع، الجد الرابع للشيخ عبدالله المزروع، ذا مقام عند الإمام عبدالله بن سعود، وقد أرسله سنة ١٢٣١هـ إلى والي مصر محمد علي باشا للمفاوضة على عدم الحرب وعقد الصلح، فلم يستجب محمد علي لذلك، وكان له موقف في الدفاع عن بلدة الرس أثناء حصار الجيش المصري.

وابنه محمد بن حسن -وهو الأب الرابع للشيخ عبدالله- من الأبطال الذي حاربوا ذلك الجيش أثناء حصار الدرعية، وبعد الاستيلاء عليها التجأ هو وكثير من أعيان أهل الدرعية إلى بلدة رأس الخيمة في عمان، ثم بعد استيلاء النصارى عليها سنة ١٢٣٥ خرجوا منها.

وكانت لآل مزروع إمارة (منفوحة) البلدة العريقة في القدم، أثناء العهد السعودي الميمون التي قدّمت دفاعاً عن العقيدة أثناء حصار الدرعية سنة ١٢٣٣ أكثر من خمسين شهيداً.

ثم عصفت الحوادث بآل مزروع كغيرهم من أكثر الأسر النجدية، فطوّحت بهم في بلاد أخرى حتى استقر قسم منهم في الأحساء، وفي هذه المدينة ولد الشيخ عبدالله بن سليمان بن سلامة بن حمد بن محمد بن حسن بن مزروع. وشبّ ونشأ حتى بلغ مبلغ الرجال، وكانت بلاد الهند في أول القرن الماضي مطمح طلاب الرزق من أهل نجد، وهناك في كنف التاجر المعروف الشيخ عبدالله الفوزان عمل برهة من الزمان مع محمد السليمان الحمدان، الذي عمل بعد في ديوان الملك عبدالعزيز -رحمهما الله- ومع أخيه الشيخ عبدالله الذي عاد من الهند في سنة ١٣٤٣هـ -بطلب من الملك عبدالعزيز- حيث تولى فيما بعد تنظيم مختلف الشؤون الإدارية في المنطقة الغربية، وأصبح وزيراً للمالية.

وفي بلاد الهند شدا [أخذ] الشيخ عبدالله المزروع طرفاً من العلوم، وأحسن اللغة (الأوردية) وعاد للعمل في بلاده بعد أن استقرت بها الأحوال، واستوطن مكة المكرمة منذ عام ١٣٤٤ فكان ذا صلة بكبار رجال الدولة، وكان يشرف على استقبال الوفود ويتولى تنظيم شؤونهم وعرضها على ذوي الاختصاص بها من رجال القصر.

وفي سنة ١٣٤٥هـ أسند إليه العمل في (مكتب المطبوعات بمكة) بوزارة

الخارجية للاطلاع على ما ينشر في الصحف العربية، عن هذه البلاد وأهلها، وتقديمه للديوان الملكي ليعرض على الملك.

لقد غادر الشيخ عبدالله المزروع هذا العالم في حالة من الغفلة تشبه النسيان، لما له من صلوات المودة والإخاء بجميع أدباء هذه البلاد، كما قال صديقه الأستاذ عبدالله عبدالغني خياط، إمام الحرم المكي وخطيبه:

(وظفقتُ أخطّ بالدمع قبل المداد رثائي في أبي أحمد؛ لأنّ الواقع أمامي يُوحى إليّ بأن لا راثي لأبي أحمد -رحمه الله- وكأنه لم يكن له -يومًا من الأيام بيننا- آثار تذكر وصدقات مع الأكثرية من مختلف الطبقات، كان على الدوام ينميها بصلاته الطيبة، ومجالات نشاط ملحوظ في ميدان الأدب والصحافة، ودنيا الكتب والمكتبات وعالم التاريخ) - "مجلة الحج" ١٦ رمضان سنة ١٣٨٥هـ، ولولا ما كتبه الإخوة الشيخ عبدالله والأستاذ أحمد علي أسد الله في جريدة "اليوم" ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٨٥هـ ثم اللواء محمود شيت خطاب - "مجلة الحج" ١٦ شوال ١٣٨٥هـ لما علم أحد بغياب هذا الرجل الفاضل، بل لولا ومضات تاريخية أشار إليها الأستاذ أحمد علي لبقيت جوانب من حياته مجهولة.

عرفت الشيخ عبدالله المزروع -أول ما عرفته- عام ١٣٤٩هـ حيث كنت من طلاب (المعهد السعودي) الذين أنزلوا (دار الضيافة)، وكنت أحاول البروز في دنيا الأدب بالاتصال بالصحف التي تصدر في البلاد، فكان حريصًا على أن يقوّي رغبتني في هذا المجال، فيطلعي على بعض الصحف

المصرية، بل كان في بعض الأحيان حين يطلع على بعض ما أكتب يسارع بالذهاب به إلى إحدى الصحف بحيث أفاجأ به منشوراً.

ثم في عام ١٣٦٥هـ زار الظهران، وكنت رئيساً لمراقبة التعليم هناك فأبدى لي الرغبة في أن نترافق في زيارة البحرين، ومع ما بيني وبينه من تباين في بعض الطباع كانت الرحلة. لقد كان -رحمه الله- إنساناً، اجتماعياً، بينما يغلب على طبعي الانكماش ومحبة العزلة، فكان أول خلاف بيننا اختيار المسكن، غير أنه لم يدع لي التصرف في الأمر، ففي مطار البحرين، استقبلنا رجل كريم أضفى علينا من لطفه ما صرفني عن التفكير في أمر المنزل، والركوب معه في سيارته إلى منزله الرحب سعة وخلقاً، إنه الشيخ حسن بن عبدالعزيز العجاجي... إلخ.

ويأتي الحديث من هذه الومضات الفكرية التي عنونها الشيخ عبدالله المزروع (وصايا أساطين الدين والأدب والسياسة) ولعلها بالنسبة إليه تعتبر كتاب العمر، فقد بدأ بجمعها في ذي الحجة سنة ١٣٥٦هـ كما يبدو من أول ما سجل منها، وانتهى في جمادى الأولى سنة ١٣٨٥م، أي قبل وفاته بثلاثة شهور واثنى عشر يوماً.

ولا أعرف له -رحمه الله- من الكتابات ما هو خير من هذه المجموعة، لقد نشر في بعض الصحف كلمات موجزة تقریظاً أو رثاء أو استدراكاً، وشرع في جمع كتاب عن "تاريخ الأحساء" ذكرته في مقدمة كتاب "تحفة المستفيد" للشيخ محمد بن عبدالقادر، وقدّمت له بعض النصوص التاريخية، ولكنني فهمت مما كتبه الأخ الأستاذ أحمد علي عنه أنه لم يكمله.

هذه الومضات الفكرية لا تقف الغاية من نشرها لكونها أثراً أدبياً لرجل ذي فضل في دنيا الأدب والثقافة ، ولا لكونها تصور نظرة ذلك الرجل إلى شباب الأمة ووجوب الاهتمام به ، إذ هو عماد حياتها في مستقبلها ، بل يضاف إلى هذين الأمرين أنّ في تلك الومضات خلاصة تجارب نخبة من قادة الأمة في القرن الماضي ، تحوي الصائب من الآراء والتوجيه لأقوم السبل في هذه الحياة ، توجيهاً قائماً على أسس من العلم والمحبة والوفاء لهذه الأمة الكريمة.

في هذه الومضات ما هو إلى الرمز والإشارة أقرب منه إلى الوضوح والبيان ، وهذا من مكامن الإبداع والإمتاع ، كقول شاعر العرب فؤاد الخطيب :
إنّ الشبيبة في الشباب أمانة لله فيه ، وللغد المنشود
وكلمة القائد المشهور عزيز علي المصري وكلها : (أرجو أن أراكم سادة ، وأنا الخادم السعيد).

ومثل ما ورد في وصية الدكتور محمد حميد الله : (رجعوا إلى الكعبة من طريق أكسفورد وكيمبرج).

وفي هذه المجموعة إشادة بفضل جامعها كقول الشيخ علي الطنطاوي :
(لقد كان الأخ شاباً فشاخ ، ولكن طيبه في قلبه ، ووفاءه لإخوانه ، ونبله وفضله لا يزال كله شاباً).

وقول الشيخ سعدي ياسين من علماء بيروت : (إنك شاب معلّم ، لأنني عرفتك منذ أربعين سنة ونيّف ، فلمست فيك الدّين والأمانة وكرم الخلق والإيثار ، وأنتك وفي لإخوانك وصول لأصحابك).

وفيها ما لم يدرك كاتبه الغاية من الكلمات التي يحويها هذا الكتاب ،
فنحا منحى لا صلة له بتلك الغاية.

ويظهر أنّ الأستاذ ابن مزروع -رحمه الله- لم يتمكن من إعادة النظر
في كل ما جمع لكي يبقى على ما يتلاءم مع غايته ، ففيه كناية عن كلمات
أربع أو نحوها لأربعة كتّاب مغمورين ، أو غير مدركين لما أريد منهم أن
يكتبوا فيه.

مع أنه -عفا الله عنه- كتب تعليقات ، بل (وخزات) كقوله عن أحمد
أمين : (أحزني منظره لما أخذ يوقع بعض الشيكات قبل موته بأسبوع).
وعن محمد عبد الله عنان : (غير محقق في كتاباته التاريخية).
وعن محمد صبري أبو علم : (وقد اختبرته في بعض المسائل الإصلاحية
فأهملها).

وعن إبراهيم عبد الهادي : (تولى رئاسة الحكومة المصرية فلم يصلح
بل أفسد).

وتحسن الإشارة إلى ما قاله اللواء محمود شيت خطاب في هذا المقام :
(وأشهد أنّ تعليقاته اللاذعة أو الناقدة أو المستحسنة تدل على علمه
الغزير ، وإخلاصه النادر لعروبته ودينه).

وبعد : فهذه المجموعة من الوصايا جديرة بأن يوليها شباب الأمة حسن
الاستقبال ، وعمق الدراسة ، برغبة الاستفادة والاستنارة بهديها ، فهي
عصارة أفكار نخبة طيبة من جيل عاش في عصر أعشت أضواء حضارته
ومظاهره المادية البصائر إلا من رحم ربك.

وختاماً، لقد سعدت بدعوة الأخ الأستاذ علي الغوينم، مدير جمعية الثقافة والفنون بالأحساء، وموافقته على اختيار هذه الشخصية الفذة والتحدث عنها، خصوصاً أنه من مواليد هذه الأرض الطيبة، ولعلي لا أخفي سرّاً القول إنني حاولت أن أجمع معلومات وافيه عن المزروع وسألت عنه فلم أجد أبلغ مما ذكره الجاسر في "سوانح ذكرياته"، فكتبت عنه ضمن مجموعة أخرى من (أعلام في الظل) بدأت المجلة العربية بنشرها ابتداء من شهر المحرم ١٤٣٦هـ وستستمر إن شاء الله لسنوات قد أجمعها فيما بعد بكتاب، فهذا من حقهم علينا أن نذكرهم ونشكرهم، وواجب علينا الإشادة بهم وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم.

* هذا عنوان محاضرة ألقى في جمعية الثقافة والفنون بالأحساء بتاريخ ١٠/١١/١٤٣٦هـ الموافق ٢٥/٨/٢٠١٥م.
* مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض - المملكة العربية السعودية.

مخطوطات رسائل ابن كمال باشا في مكتبة آل حبت

بقلم : د. إسلام بن السبتي ❖

ضمن متابعة بحثي عن نوادر المخطوطات في مكتبة آل حبت الغنية بالتراث المخطوط^(١)، استوقفني هذا المجموع المعنون برسائل العلامة أحمد ابن سليمان باشا، فاستجلبته معي، ثم قمت بمطالعة، فتبين لي أنّ هذه الرسائل قد لا تكون معروفة من بين مؤلفات الكاتب، وقد أكد البحث ضمن تراث الرجل صدق ما قلته، حيث إنّ أغلب تلك الرسائل لم تكن معروفة؛ ولذلك السبب وحده أحببت أن أطلع الباحث العربي على مضمونها، فكان هذا البحث المتواضع.

ترجمته :

هو أحمد بن سليمان شمس الدين المعروف بابن كمال باشا شيخ الإسلام الرومي الحنفي المتوفى سنة ٩٤٠ هـ مفتي الثقلين. كان جدّه من أمراء الدولة العثمانية، ونشأ هو في صباه في حجر العزّ والدلال، ثم غلب عليه حب الكمال فاشتغل في العلم الشريف وهو شاب ليلاً ونهاراً. ثم قرأ على بعض العلماء وبرع وصار مدرّساً بمدرسة أدرنه. ثم صار قاضياً بها.

ثم جعله السلطان سليم قاضياً بالعسكر، ودخل القاهرة فلقية أكابر العلماء فناظروه وتباحثوا معه فأعجبهم فصاحة كلامه وأقروا له بالفضل. ثم صار مفتياً بالقسطنطينية بعد وفاة علاء الدين علي الجمالي سنة ٩٣٢ ومات وهو مفت بها^(٢). وله من المصنفات مئة وخمسة وعشرون. وقد أُلّف في معظم الفنون حتى وسعها تصنيفاً وتأليفاً.

مؤلفاته

الآيات العشر في أحوال الآخرة والحشر. أربعين في الحديث. أشكال الفرائض. الإصلاح والإيضاح للوقاية في الفروع. إظهار الإظهار على أشجار الأشعار في الأدب. تاريخ آل عثمان تركي إلى سنة ٩٣٣. تجريد التجريد متن وشرح في الكلام. التجريد في شرح التجويد له. التجويد في علم الكلام. تحقيق معنى الايس والليس. تحقيق مقال القائلين. تصحيح لفظ الزنديق وتوضيح معاني الدقيق. التعريفات. التعريف والأعلام. تعليقة على التهافت لخواجه زاده. تعليقة على الغرر والدرر لملا خسرو. تعليقة على أوائل التلويح للتفتازاني في الأصول. تعليم الأمر في تحريم الخمر. تغيير التنقيح على تنقيح الأصول. تغيير المفتاح للسكاكي. تفسير سورة الملك. تفسير القرآن إلى سورة الصافات. تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان. التنبه على غلط الجاهل والتنبه. حاشية على شرح السيد للكشاف. حاشية على لوامع الأسرار شرح مطالع الأنوار في الحكمة. حاشية على شرح المواقف في الكلام. دقائق الحقائق في اللغة.

رَاحَةُ الأرواح فِي رفع عَاهة الأَشْبَاح. رِيحَان الأرواح فِي شرح المِرَاح. شرح الجَامِع الصَّحِيح لِلْبُخَارِيِّ. شرح حَدِيث الأربَعِين. شرح العَشْر فِي معشر الحَشْر. شرح فَرَائِض السَّرَاجِيَّة. شرح القصيدة الخُمْرِيَّة لابن الفَارِض. شرح القُنُوت. شرح مَشَارِق الأَنوَار لِلصغَانِي. شرح مَصَابِيح السَّنَّة لِلْبَغَوِيِّ. شرح المَقَالَة المَفْرَدَة لِعَضد الدِّين. شرح الهِدَايَة لِلمرغِينَانِي فِي الفِرْع. طبقات المَجْتَهِدِين. فَرَائِد الفَوَائِد. فَرِيدَة التَّحْرِي. الفَلَاح فِي شرح المِرَاح. قَوَاعِد الحَمَلِيَّات. الكَلَام عَلَى البِسمَلَة والحَمْدَلَة. اللَوَاء المَرْفُوع. مَحِيط اللُغَة فِي اللُغَات الفَارِسيَّة والعَرَبِيَّة. مَدْح السَّعِي وَذَم البَطَالَة. مِرَاة الجَنَان. مَقَال القَائِلِين. المَنِيرَة فِي المَوَاعِظ. مَهَمَات المَسَائِل فِي الفِرْع. النُجُوم الزَاهِرَة فِي أَحْوَال مِصر القَاهِرَة. نِزَاع الحُكَمَاء والمَعْتزَلَة بِالأشَاعِرَة. نِزْهَة الخَاطِر. نَكَارِستَان فِي الأَدب وَالأَمْثَال. يوسُف وَزليخَا مَنظُومَة تُرْكِيَّة^(٣). وَله عِدَد مِنَ الرِّسَالِ طُبِعَ مِنْهَا مَجْمُوعَة تُضَمُّ سِتًّا وَثَلَاثِينَ رِسَالَة، وَمِنْهَا مَجْمُوعَة مَخْطُوطَة تُضَمُّ ثَمَانِيًّا وَعِشْرِينَ رِسَالَة فِي الخِزَانَة التِّيمُورِيَّة، وَمَجْمُوعَة خَطِّيَّة أُخْرَى فِي أَرْبَع وَعِشْرِينَ رِسَالَة فِيهَا أَيْضًا.

تلكم هي بعض مؤلفاته التي ذكرتها بعض المصادر، ولست هنا بصدد ذكرها كلها، فالقصد هو التمثيل، أما تحقيقها واستقصاؤها فليس هذا مكانه.

أما الرسائل التي وقفنا عليها في مكتبة آل حبت فقد جاءت على النحو التالي:

مفهوم الرسالة:

الرسالة: هي الكتاب والوصية والنسخة والمجلة المشتملة على قليل من

المسائل من نفس النوع والمجلة هي الصحيفة. وتعني الرسالة أيضاً المكاتبه، وكان أيضاً للمكاتب ديوان يسمّى ديوان الرسائل. وسُمّيت رسائل من حيث إنّ الأديب المنشئ ربما كتب بها إلى غيره مخبراً فيها بصورة الحال مفتوحة بما تفتح به المكاتبات^(٤).

والرسائل على ثلاثة أنواع، رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنّفة مثل: "رسالة الملائكة" لأبي العلاء المعرّي المتوفى سنة ٤٤٩هـ. والثاني: دون هذه في الطول مثل: "رسالة المنيح"، و"رسالة الإغريض"، وهما له أيضاً. والثالث: رسائل قصار كنحو ما تجري به العادة في المكاتبه ومقداره: ثمان مئة كراسة^(٥).

وقد درج معظم كتاب العربية في كتابة النوع الثاني من الرسائل مثل رسائل عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وغيره.

لقد كان تراث ابن كمال باشا الرسائلي مدعاة للإعجاب من طرف الباحثين حيث قاموا بتحقيق بعض منها مثل الدكتور سيد باغجوان، أستاذ تاريخ الفرق الإسلامية المساعد، بكلية الإلهيات، جامعة سلجوق، الذي قام بتحقيق خمس رسائل في الفرق والمذاهب، طبعة: دار السلام للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، في (٢٢٤) صفحة من القطع الصغير.

كما حققت له رسالة ضمن رسالتين في لغة القرآن "مسائل في إعراب القرآن" و"رسالة في تحقيق التغليب ابن هشام - ابن كمال باشا د. صاحب أبو جناح، دار الفكر، الأردن ١٤١٩هـ. كما حققت له ثلاث رسائل في اللغة،

حققتها الدكتور محمد حسين أبو الفتوح الأستاذ المساعد بمعهد اللغة العربية،
جامعة الملك سعود، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٣م^(٦).
ومما حقق له أيضاً رسائل ابن كمال باشا اللغوية. تحقيق: د. ناصر الرشيد،
النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠١هـ؛ ورسالتان في المعرب لابن كمال
والمنشي، تحقيق: د. سليمان إبراهيم العائد، جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة^(٧).
١- شرح تغيير المفتاح:

هذا النص ذكره حاجي خليفة حيث قال: "ثم إنّ المولى، شمس
الدين: أحمد بن سليمان بن كمال باشا، غير (عبارة المفتاح)، وشرحه،
ولم يكمله، وسمّاه: (تغيير المفتاح)، وكتب على شرحه حاشية^(٨). وقد
ذكره إسماعيل باشا ضمن ما ذكر من تصانيف المؤلف^(٩). وله ذكر عند
تقي الدين عبد القادر التميمي في كتابه^(١٠).
أولها: القانون الأول فيما يتعلق بالخبر، قدّم مباحث الخبر لسبقه في
الاعتبار؛ وذلك لكونه أقدم في الاشتقاق.
نهايتها: (ما هو موجود)، ضمير الغائب على ما سيأتي في المتن والدرع
لحقبته، والسيف مقرون.
عدد أوراقها أربع وسبعون.

٢- رسالة فيما قاله البيضاوي في تفسير قوله تعالى فسحّراً لأصحاب السعير
أولها: أمّا بعد، الحمد لله العليّ الأعلم، والصلاة على نبيه محمد ﷺ،
فقد سألتني بعض طلاب العلم والتبيين أن أبين لهم أمّ التبيين في شرح ما
قاله البيضاوي.

نهايتها: كلمات خطرت بخاطر أحقر العباد، عفا الله عنه للفظه الوفي.
والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. تمت الرسالة.
عدد أوراقها، سبع.

٣- رسالة في تحقيق مسألة تقدم العلة التامة على المعلول^(١١)

أولها: الحمد لله التام وجوده في عليّة كل شيء، العامّ إنعامه وجوده لكل
حي.

نهايتها: فلا بد من حصوله قبل وجود المعلول قبله المحذور المذكور قطعاً.
عدد أوراقها، ثمان وعشرون.

٤- شرح أوائل الإشارات مع التعرض لشرحي الطوسي وصاحب المحاكمات
أولها: الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا وسندنا محمد وآله
أجمعين قال الشيخ وأنا أعين وصيتي.

نهايتها: أن يقال إنه فرض الاتفاق في واحد منها لا بعينه.
عدد أوراقها، ثمان وسبعون.

٥- رسالة التوسع في لغة العرب^(١٢)

أولها: اعلم أنّ التوسع شائع في لغة العرب، وهو على أنحاء منها إجراء
الاسم مجرى الصفة.

نهايتها: في توجيه كلامه بحمل الكلام المذكور على تحقيق في علاقة المجاز
في لفظ العين وبالقيّد بإذن التعلّق وعلى الأوساط في المعنى.
عدد أوراقها، أربعة عشر.

٦- رسالة في شرح المقالة المفردة في تحقيق الكلام النفسي المنسوب إلى العلامة عضد الدولة

ولهذا النص ذكر في "هدية العارفين" ضمن مؤلفات ابن كمال باشا^(١٣)، ولم يذكره حاجي خليفة. ويعتبر المؤلف من بين القلائل الذين شرحوا مقالة عضد الدولة، وقد وقفت على شرح آخر لها هو شرح الإيجي، عبد الرحمن بن ركن الدين أحمد بن عبد الغفار البكري القاضي عضد الدين الإيجي الحنفي المتوفى سنة ٧٥٦^(١٤).

أولها: الحمد لله القديم كلامه، العظيم إنعامه، والصلوات على محمد خاتم الرسالة ومبلغه بأفصح مقالة. نهايتها: وهو يهدي السبيل إلى الحق بفضل الجليل. تمت الرسالة. عدد أوراقها، تسع.

٧- رسالة في بيان تلوين الخطاب

أولها: الحمد لله الذي أنزل الكتاب بياناً، وجعل الخطاب ألواناً، والصلاة على محمد أول من نطق بالصواب. نهايتها: وفي قول جرير:

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سُقِيَتِ الْغَيْثَ أَيَّتْهَا الْخِيَامُ
أَتَنَسَى إِذْ تُودَّعُنَا سُلَيْمَى بَفَرْعِ بَشَامَةِ سُقِيَتِ الْبَشَامُ
تمت الرسالة بعون الله وتوفيقه.
عدد أوراقها، ثلاثة عشر.

٨- رسالة في العقل ما هو؟

أولها: الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وفضله على سائر الحيوان بإدراك بديع المعاني بالعقل.
نهايتها: بالخط قد يكتب حرفاً واحداً على سبيل الكلام والاتفاق والنداء.
عدد أوراقها، تسع.

٩- رسالة متعلقة بأول المفتاح

أولها: اعلم أنّ صاحب المعاني يشارك اللغوي في البحث عن مفردات الألفاظ المستعملة في كلام العرب.
نهايتها: فإنّ الثاني تناوله علم الصرف والاشتقاق من الأول.
عدد أوراقها، خمس.

١٠- رسالة في شرح قوله: سأخبركم بأول أمري دعوة إبراهيم، الحديث.

أولها: الحمد لله الذي خلق النسر، رزاق الحشر، والصلاة على محمد سيّد البشر المبشّر، الشفيّع المشفّع يوم المحشر.
نهايتها: انتهى كلامه، والمراد في الحديث عين الأولى مكان قوله عليه السلام في رواية أخرى قصور الشام، والحمد لله على التمام.
عدد أوراقها، خمس.

١١- رسالة في بيان أنّ أسماء الله توقيفية

أولها: الحمد لله الذي له الأسماء الحسنى، والصلاة على محمد ذي المقصد الأسنى، وبعد فهذه رسالة مرتّبة في بيان أنّ أسماء الله توقيفية.

نهايتها: وعلمًا وإيمانًا، وقيامًا بحقوقها، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.
عدد أوراقها، تسع.

١٢- رسالة في من التبعية^(١٥)

لم أقف على هذا النص في واحد من المصادر عدا حاجي خليفة في كتابه "كشف الظنون"، فإنه ذكر اسم الرسالة دونما تعليق^(١٦). غير أنّ حسين محمد العطار ذكرها في حاشيته، ونقل منها بعض النصوص^(١٧).

أولها: الحمد لوليه والصلاة على نبيه، اعلم أنّ من التبعية.
نهايتها: والتعليل بقوله: إنه هو الغفور الرحيم على صيغة المبالغة، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.
عدد أوراقها، تسع.

١٣- رسالة رفع ما يتعلّق بالضمائر من الأوهام^(١٨)

أولها: الحمد لله الذي تولّى السرائر ووقف على الضمائر، والصلاة على محمد المبعوث من أفضل القبائل وأكرم العشائر.
محتوياتها:

- مطلب تفكيك الضمير
- إذا رجع الضمير إلى المضاف
- فتح الاختلاف في الضمير من تذكير أو تأنيث
- إضمار قبل الذكر
- الاستخدام

نهايتها: فالصواب إرجاعه إلى نار الهوى المتعلق بساكني الفضاء، التي تفهم من الكلام وتقتضيها.
عدد أوراقها، تسع.

١٤- رسالة في تفصيل ما قيل في أمر التفضيل

أولها: الحمد لله الذي كرّم بني آدم، وفضّل على كثير من مخلوقاته تفضيلاً.
نهايتها: بالجمع مطلقاً، بل فيه حال وقوعه في هذا الكلام، وبه ما نبهناك عليه آنفاً.

تمت الرسائل للعلامة المحقق، والنحرير المدقق، ابن كمال باشا، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، جملتها ثلاثة عشر^(١٩). رسائل حرّرها الفقير الحقير المحتاج إلى رحمة ربه الملك القدير، صالح بن مصطفى، عفا الله عنه، سنة ١٠٠١هـ.
عدد أوراقها، تسع.

١٥- شرح كتاب الصوم من الهداية

والهداية في الفروع، هي لشيخ الإسلام، برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني، الحنفي المتوفى سنة ٥٩٣هـ^(٢٠). وهذا النص الذي بين أيدينا هو جزء من هذا الشرح الذي ذكره حاجي خليفة^(٢١).
أولها: كتاب الصوم قدّمه على كتاب الحج؛ لأنه منه بمنزلة البسيط من المركّب. نهايتها: في أنّ المثني له حكم الجمع، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

الناسخ: صالح بن مصطفى، في يوم ٢٣ من شهر ربيع الأول سنة ١٠٠٢هـ في بلدة قسطنطينية المحمية.

عدد أوراقها: ستة وسبعون.

وأخيراً أنوّه بجهود ملاك هذه المكتبة، رحمهم الله، وخاصة سيدي محمد ابن سيدي أحمد بن حبت الذي اشترى كتب هذه المكتبة من أماكن بعيدة عن موطنه مدينة شنقيط، فقد كتب على مخطوطة كتاب "أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلبي"^(٢٢) للثعالبي، أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الفاسي المولد الجزائري المنزل، المتوفى سنة ٧٨٧هـ، وهو نص نسخ ١٠٦٩هـ، «اشتريت هذا الكتاب في سوق سجلماسة». كما قرأت على مخطوطة: "العقد الفريد برسم الملك السعيد"^(٢٣) للوزير محمد ابن طلحة القرشي النصبي المتوفى سنة ٦٥٢هـ. اشترى هذا الكتاب من طرف أحمد بن سيدي محمد بن حبت، بباب السلام بمكة المكرمة. فصنع هذين يعتبر مدعاة للتنويه بهما وبغيرهما، فلولاهم ما حفظت تلك الكنوز الزاخرة من المخطوط العربي والإسلام في مكتبات نائية كمكتبات مدينة شنقيط التاريخية.

الهوامش:

* نواكشوط - موريتانيا.

(١) لقد عرفنا بهذه المكتبة في مقالنا الموسوم بـ "من نوادر المخطوطات في مكتبة آل حبت".

مجلة العرب، ج ١ و ٢، س ٤٤، رجب وشعبان ١٤٢٩هـ.

(٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة: ٢٢٧/١. وانظر ترجمته في: الشقائق النعمانية

ص ٢٢٦-٢٢٨، والكواكب السائرة ١٠٧/٢، والأعلام ١٣٣/١، وشندرات

- الذهب ٣٣٥/١٠. وانظر مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العددان: ٧١، ٧٢،
ص ١٨٣ وما بعدها).
- (٣) هدية العارفين: ١٤١/١-١٤٢.
- (٤) انظر معجم مصطلحات المخطوط: ص ١٧٤.
- (٥) كشف الظنون: ٩٠١/١.
- (٦) التمييز- دراسة تحليلية في البنية: ص ٢٧.
- (٧) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ١٧٠/٤٣.
- (٨) كشف الظنون: ١٧٦٢/٢.
- (٩) هدية العارفين: ١٤١/١.
- (١٠) الطبقات السنوية في تراجم الحنفية: ص ١٠٧.
- (١١) انظر خزانة التراث: ١/٦٣.
- (١٢) انظر خزانة التراث: ١/١٨٠، والرقم التسلسلي... ١١٨٣. والعنوان هناك هو:
رسالة في التوسع الشائع في لغة العرب.
- (١٣) هدية العارفين: ١٤١/١. (١٤) المصدر السابق: ٥٢٧/١.
- (١٥) انظر خزانة التراث: الرقم التسلسلي: ٤١٥٢٩.
- (١٦) كشف الظنون: ٨٩٤/١.
- (١٧) حاشية العطار: ٤٠٣/٢.
- (١٨) انظر خزانة التراث: ١/٢١٨.
- (١٩) هذا وهم من الناسخ، فالعدد أربعة عشر.
- (٢٠) كشف الظنون: ٢٠٢٢/٢. (٢١) المصدر السابق: ٢٠٢٢/٢.
- (٢٢) هذا النص يعتبر من نواذر هذه المكتبة. وانظر: مجلة كلية الآداب، جامعة محمد
الخامس بالرباط، العدد الثامن، ص ١٨٢.
- (٢٣) وهذه النسخة أرجح أنها من النسخ المخطوطة التي لم يطلع عليها من طرف المعتنين
بطبع الكتاب.

ألقاب الشعراء في أشعارهم

توثيق ودراسة

(٢)

بقلم: د. عبد الحميد محمد بدران*

ثالثاً- الظواهر النقدية للألقاب :

لم يقف عطاء ألقاب الشعراء عند حد البواعث والأتماط ، وإنما تعداها إلى عديد من الظواهر النقدية التي تكشف مزيداً من أبعاد الظاهرة ، وتفصح عن غناها وثراتها ، ويمكن إجمال هذه الظواهر في أربعة محاور يتضمنها البيان التالي :

١- الخلاف في سبب اللقب :

ينشأ الخلاف في سبب اللقب إما لوجود بيتين يتنازعان اللقب في شعر الشاعر ، أو لوجود أخبار تاريخية لا علاقة لها بالبيت الشعري ، وإن كان التردد في الوقوف على سبب اللقب يقف بنا على حقيقة هامة ، وهي أنّ السبب قد يخفى على الناقد ، لقدم الشاعر أو قلة أخباره ، مما يضطر معه الناقد إلى الاجتهاد ، وأول ما يلجأ إليه هو استقراء شعره بحثاً عن مشتقات لقبه فيه .

أمّا الخلاف الذي سببه وجود بيتين يتنازعان اللقب في شعر الشاعر فيبدو جلياً في سبب إطلاق لقب (ذو الخرق) و (مدرج الرياح)، فأما (ذو الخرق) فهو لقب قرط بن شريح بن شنيف بن أبان بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، هكذا نسبه قاسم بن ثابت، وقال الكلابي: هو أحد بني سود بن مالك بن حنظلة، وأمّ أبي سود وعوف ابني مالك طهية بنت عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم غلبت عليهم، وسمّي ذا الخرق بقوله^(١): {البيسط}

وما حَطَبْنَا إِلَى قَوْمِ بَنَاتِهِمْ إِلَّا بِأَرْعَنَ فِي حَافَاتِهِ الْخَرْقُ

وقيل إنما سمّي ذا الخرق بهذا البيت^(٢): {البيسط}

لما رَأَتْ إِبْلِي جَاءَتْ حَمُولَتُهَا هَزَلَى عِجَافًا عَلَيْهَا الرِّيشُ وَالْخَرْقُ
واللجوء إلى اشتقاق الكلمة قد أدى إلى الخلط بين الشاعر وغيره، فقليل:

إنما سمّي ذا الخرق لقوله^(٣): {البيسط}

لا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَصْرُورُ خَرْقَتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَنْطَلِقُ

والبيت ليس له وإنما ورد في قصيدة لحاتم الطائي وجاريتته طريفة^(٤).

وأما (مدرج الرياح) فهو لقب عامر بن المجنون، من قضاة. وسمّي

مدرج الرياح لقوله^(٥): {الكامل}

ولها بأَعْلَى الْجَزَعِ رَبْعٌ دَارِسٌ دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ بَعْدَكَ فَاسْتَوَى

ويروى عنه أنه لما عمل نصف هذا البيت ارتج عليه، وأقام يكرهه مدة

سنة، ولا يقدر يعمل له عجزاً، وكان قد دفن في نفس المنازل التي كان

ينزلها دفينه، فذكرها وقال لجاريتها أن تمضي وتخرج الخبيثة من تلك البرية والموضع الذي أعطاها علامته. فمضت الجارية، وقد اختلفت الرياح على تلك الأراضي، وعفت آثارها. فعادت ولم تجد شيئاً. فسألها عن الحال، فقالت: (درجتُ عليه الریحُ بعدكُ فاستوى)، فتممَّ بيته بهذا، وسمِّي مدرج الریح^(٦).

ويرى أبو الفرج الأصفهاني أنه سمِّي مدرج الریح بشعر قاله في امرأة كان يزعم أنه يهواها من الجن وأنها تسكن الهواء وتترأى له وكان محمقاً وشعره هذا^(٧): {الرملة}

لابنة الجنِّي في الجو طلل دارس الآيات عاف كالخلل

درسته الریح من بين صبا وجنوب درجت حيناً وطل

وأما الخلاف الذي تسبب عن وجود أخبار تاريخية لا علاقة لها بالبيت الشعري، فيبدو جلياً في إطلاق لقب (المرعث) و(المهلل)، فأما (المرعث) فهو لقب بشّار بن بُرد، وإنما سمِّي المرعث بقوله^(٨):

قال ريم مرعث ساحر الطرف والنظر

لست والله نائلي قلت أو يغلب القدر

أنت إن رمت وصلنا فانج، هل تدرك القمر

وقيل: إنما سمِّي بشّار المرعث؛ لأنه كان لقميصه جيبان يُخرج رأسه مرة من هذا ومرة من هذا، وكان يضمّ القميص عليه من غير أن يدخله في رأسه، قال والرعث عند العرب الاسترخاء والاسترسال، والرعثة القرط

وكذلك الرعث والرعاث القرطه^(٩) وقيل : سمّي بالمرعث لأنه ولد وهو مشقوق طرف الأذن، فقالوا: ولد مرعثاً، أي لم يحتج إلى أن تثقب أذنه^(١٠).

وأما لقب (المهلل) فهو لامرئ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير ابن جشم، وهو خال امرئ القيس بن ربيعة، وأخو كليب، ومهلل لقب له، لأنه أول من رقق الشعر، وزعم ابن الكلبي أنه إنما سمّي مهلهلاً بقوله في شعر له^(١١) : {الكامل}

لما توّعر في العُبار هجيهم هلّهت أثار جابراً أو صنبلاً

قال السيوطي : وفي "طبقات الشعراء" لمحمد بن سلام أنّ اسمه عدي وأنه سمّي مهلهلاً لهلهة شعره كهلهة الثوب وهو اضطرابه واختلافه، ويقال : سمّي مهلهلاً لأنه أول من رقق الشعر^(١٢).

٢- إهمال اسم الشاعر والاكتفاء بلقبه :

قد يذكر الكاتب اللقب ويهمل الاسم، ناصباً على عدم وجود الاسم أصلاً، وغالباً ما يحدث ذلك نتيجة جهل الكاتب بالاسم وقت تأليفه، أو نتيجة الاختلاف في الاسم، فمن الأول يبدو لنا قول ابن رشيق في لقب (أبو العيال) : لا يعرف له اسم غير هذا ولقوله^(١٣) : {الطويل}

ومن يك مثلي ذا عيالٍ ومقتراً من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذراً أو يصيب رغبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

ويبدو أنّ الاسم لم يكن يعرف للكاتب فقط، فأبو العيال هو عروة بن الورد^(١٤).

ومن الثاني قول ابن رشيقي أيضاً في لقب (جِرَان العَوْد): سُمِّيَ بذلك لقوله يخاطب امرأته، وقد تركناه ونشزتا عليه؛ فلزمه هذا الاسم وذهب اسمه كرهاً^(١٥): {الطويل}

عمدت لعود فالتحيت جِرَانَه وللكيس خير في الأمور وأنجح
خُذَا حَذْرًا يَا خَلْتِي فَإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ العَوْدِ قَدْ كَانَ يَصْلِحُ
ويبدو أن اللقب كان يتنازعه شاعران أحدهما عقيلي والآخر نمري،
يبدو ذلك من تضارب الأقوال في النسبة والعصر، على ما يبدو من قول
الزبيدي: "وجِرَانُ العَوْدِ شَاعِرٌ نَمْرِيٌّ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ، وَاسْمُهُ عَامِرُ بْنُ
الحَارِثِ لا المُسْتَوْرِدُ وَغَلَطَ الجَوْهَرِيُّ؛ قَالَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: فَقِيلَ
إِنَّهُ لَقَبُهُ وَقِيلَ هُوَ آخِرُ يُوَافِقُ الأوَّلَ فِي اللَّقَبِ وَهُوَ عَقِيلِيٌّ وَذَلِكَ نُمَيْرِيٌّ
وَسُمِّيَ لِقَوْلِهِ: {الطويل}

عَمَدَتُ لِعَوْدٍ فَالتَحَيْتُ جِرَانَهُ وللكيس أَمْضَى فِي أُمُورٍ وَأَنْجَعُ
وَأُورَدَهُ الحَافِظُ السَّيُوطِيُّ فِي "المُزْهَرِ" وَقَالَ هُوَ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مِنْ بَنِي
عُقَيْلٍ اسْمُهُ المُسْتَوْرِدُ وَلَقَّبَ بِذَلِكَ لِقَوْلِهِ يُخَاطَبُ امْرَأَتَهُ: (خُذَا حَذْرًا يَا
جَارَتِي فَإِنِّي) كَذَا نَصُّ الجَوْهَرِيِّ وَأَرَادَ بِهِمَا الضَّرَّتَيْنِ وَهِيَ رِوَايَةٌ
الأَكْثَرُ، وَرَوَاهُ العَيْنِيُّ يَا جَارَتَايَ بِالأَلْفِ لِأَنَّهُ مُثْنَى يُبْنَى عَلَى مَا يُرْفَعُ بِهِ
وَوَقَعَ فِي المُحَكَّمِ يَا خَلْتِي"^(١٦).

٣- إضافة الاسم إلى اللقب أو إضافة اللقب إلى القبيلة أو الأم:

كثيراً ما كان اللقب يضاف إلى اسم الشاعر أو قبيلته أو أمه، استغناء

باللقب عن سلسلة نسب الشاعر، نتيجة اشتهار لقبه، فممن أضيف
اسمه إلى لقبه (بيهس النعام) وهو بيهس بن خلف الفزاري سمّي بيهس
النعام بقوله^(١٧): {الرجز}

لأطرقنّ حيّهم صباحاً لأبركنّ بركة النعام
وكذلك (عويف القوافي) وهو عويف بن عيينة بن حصن، وسمّي بذلك
لأنه قال^(١٨): {الطويل}

سأكذبُ مَنْ قد كان يزعمُ أنني إذا قلتُ قولاً لا أجيدُ القوافيا
وكذلك (موسى شهوات) وهو موسى بن يسار مولى بني تيم قريش،
وقيل هو مولى بني سهم بن عمرو بن هصيص، وقيل مولى بني عدي بن
كعب، والثبت هو الأول، وسمّي شهوات بقوله ليزيد بن معاوية^(١٩):
{الخفيف}

(يا مُضِيع الصلاة للشهوات)

وقد نسب هذا البيت إلى عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل^(٢٠)،
وقيل: سُمّي شهوات لتشبهه على عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطعام
فلُقّب به؛ وكان من شعراء المدينة وظرفائهم وهو القائل^(٢١): {الخفيف}

ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناسُ غير أنك فاني
أنت خير المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ومن أضيف لقبه إلى قبيلته (الأسعر الجعفي) وهو مرثد بن حمران،
وكان قديماً من الشعراء، وسمّي الأسعر بيتاً قاله^(٢٢): {الطويل}

فلا تدعني الأقبام من آل مالكِ إذا أنا لم أسعر عليهم وأثقب
و(الذهاب العجلي) وهو مالك بن جندل بن سلمة بن مجمع بن عدية بن
أسامة بن ربيعة بن ضبيعة بن عجل، وقيل اسمه جندل بن سلمة بن مجمع
ابن عدية، والأول أثبت، وسمي الذهاب بيت قاله^(٢٣) :

قال الميداني: ولقب بالذهاب لقوله^(٢٤) : {الطويل}

وَمَا سَيْرُهُنَّ إِذْ عَلَوْنَ قُرَاقِرَا بِذِي يَمَمٍ وَلَا الذَّهَابُ ذَهَابُ

و(الراعي النميري) وهو عبيد بن حصين بن معاوية من بني نمير، يكنى
أبا جندل، شاعر إسلامي، وهم أهل بيت وسؤدد، وإنما قيل له الراعي
لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره^(٢٥)، قال القالي في "أماليه" إنما سمي
الراعي لقوله^(٢٦) :

{الطويل}

لها أمرها حتى إذا ما تبوّأت لأخفافها مرعى تبوأ مضجعا

فقل رعى الرجل.

ومسكين الدارمي هو ربيعة بن عامر، من ولد عمرو بن عمرو بن عدس
ابن زيد بن عبد الله بن درام؛ قال ابن قتيبة: وسمي المسكين لقوله^(٢٧) :

{الطويل}

وسميت مسكيناً وكانت لجابةً وإني لمسكين إلى الله راغب

وقيل: إنه لقب بقوله^(٢٨) : {الرميل}

أنا مسكين لمن أبصرني ولمن حاورني جد نطق

ومن أضيف لقبه إلى أمه (مقاس العائدي) وهو لقب مسهر بن النعمان

ابن عمرو بن ربيعة بن تيم بن الحارث بن مالك بن عبيد بن خزيمه بن لؤي بن غالب العائدي الشاعر، نسبة إلى عائذة بنت الخمس بن قحافة وهي أمهم، وقيل له مَقَّاسٌ لأنَّ رجلاً قال هو يَمُقُّسُ الشَّعْرَ كيفَ شاءَ، أي يَقُولُه، وكُنْيَتُه أَبُو جِلْدَةَ^(٢٩)، وقيل: وسمي مقاساً بيت قاله^(٣٠).

٤- تعدد الألقاب وتكررها:

يعدّ تعدد الألقاب وتكررها من الظواهر الهامة واللافتة للنظر في آنٍ معاً، إذ إنّ تعددها يشي بتمييز لقب على آخر، ويحرّض على البحث في أسبقية أحدهما على الآخر، وملابسات إطلاق اللقبين، والكشف عما يمكن أن يتولّد عن إطلاقهما من ملابسات، كما أن تكرّر الألقاب يشي بإمكانية حدوث اللبس بين شاعرين مختلفي العصر والاتجاه.

أمّا عن تعدد الألقاب لشاعر واحد فالغالب فيه بروز أحد اللقبين على الآخر، كالقطامي وصريع الغواني، فهما لقبان لعمير بن شيمم التغلبي، وسمي القطامي لقوله^(٣١): {الرجز}

يَحْطُّهُنَّ جَانِبًا فَجَانِبًا
حَطَّ الْقُطَامِيُّ الْقَطَا الْقَوَارِبَا

وهو أيضاً أول من لقب صريع الغواني بقوله^(٣٢): {الطويل}
صريع غوان راقهنَّ ورُقنه لدن شبّ حتى شاب سود الذوائب
ولكن القطامي قد اشتهر لشميم، في حين استأثر مسلم بن الوليد بلقب صريع الغواني.

وكذلك لقب (عروة الصعاليك وأبو العيال) وهما لعروة بن الورد،
لقب (عروة الصعاليك) لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في
غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزى، وقيل بل لقب عروة الصعاليك
لقوله^(٣٣) : {الطويل}

لحى الله صعلوكا إذا جنَّ ليله مصافي المشاش ألفا كل مجزر
يعد الغنى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
ولله صعلوك صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور
ولقب بـ(أبي العيال) لقوله^(٣٤) :

{الطويل}

ومن يك مثلي ذا عيالٍ ومقتراً من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذراً أو يصيب رغبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح
والظاهر أن لقب (عروة الصعاليك) كان أشهر من (أبو العيال)، بدليل
إهمال اسم عروة أثناء الحديث عن هذا اللقب، رغم أن اللقب قريب
الشبه في المعنى من اللقب الأول.

وكذلك لقب (الذائد وذو القروح) وهما لقبان لامرئ القيس الأكبر
ابن بكر بن الحارث بن معاوية الكندي سُمِّي الذائد بقوله^(٣٥) :

{متقارب}

أذود القوافي عني ذيادةً ذيادةً غلامٍ جريئٍ جرادا
وسُمِّي ذا القروح لقوله^(٣٦) :

{ الطويل }

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة فيا لك نعمى قد تبدلت أبؤسا
ويقال له الملك الضليل ، وذكر المفضل أن لبيد بن ربيعة مرّ بمجلس بني
نهد بالكوفة ويده عصاً له يتوكأ عليها بعدما كبر ، فبعثوا خلفه غلاماً
يسأله من أشعر الناس؟ فقال ذو القروح بن حجر الذي يقول:

{ الطويل }

وبُدِّلت قرحاً دامياً بعد صحة فيا لك نعمى قد تبدلت أبؤسا
وقد يذكر الشاعر لقبين قريبين في الاشتقاق كـ (الصامت والصمت)
وهما لعمر بن الغوث من طيء. وسُمِّي الصامت بقوله^(٣٧):

{ الوافر }

رأتني صامتاً لا قولَ عندي ألا إنَّ الغريبَ هو الصموتُ
وقيل: اسمه عمرو بن غنم الطائي^(٣٨) وقيل: ابن تميم^(٣٩) ، وقد ذكر
في بعض الكتب نفسها بلقب (الصموت) بفتح الصاد وضم الميم وسكون
الواو وفي آخرها التاء ثالث الحروف ، لقب عمرو بن غنم الطائي ، وسُمِّي
الصموت بقوله^(٤٠):

{ الوافر }

صمت ولم أكن قدماً عيباً ألا إنَّ الغريبَ هو الصموت
وقد يتعدد اللقب نتيجة تصرف بعض الشعراء في اللقب الأول ، كما يبدو
في لقب (ملاعب الأسنّة) وهو لعامر بن مالك بن جعفر ، عمّ لبيد ، وقد

اختلف في سبب إطلاقه، فقيل: سمي ملاعب الأسنّة بقول أوس بن حجر:

{الطويل}

ولاعب أطراف الأسنّة عامراً فراح له حظ الكتبية أجمع
وسبب تسميته ملاعب الأسنّة أنّ أخاه الذي يقال له فارس قرزل،
وهو الطفيل، كان أسلمه في ذلك اليوم (يعني يوم سوبان) وفراً، فقال

{الطويل}

شاعر:

فرت وأسلمت ابن أمك عامراً يلاعب أطراف الوشيج المزعزع
وسمي ملاعب الأسنّة أيضاً بـ(ملاعب الرماح) لما قال لبيد^(٤١):

{مشطور الرجز}

وإنني ملاعب الرماح

ومدره الكتبية الرдах

مما جعل اللقبين يطلقان على الشاعر، ولكن الزبيدي فطن إلى ذلك حيث
قال: "وجعله لبيدٌ مُلاعبَ الرّمّاحِ لحاجتِهِ إلى القافية"^(٤٢).

وقد يتكرر اللقب لأكثر من شاعر، مع اختلاف العصور أو اتفاقها،
كما في لقب (صريع الغواني) فقد لُقّب به القطامي كما مرّ، كما لُقّب به
مسلم بن الوليد أبو الوليد الأنصاري، مولى أسعد بن زرارة الخزرجي،
شاعر يعرف بصريع الغواني، وهو كوفي نزل بغداد وكان مداحاً مجيداً،
مفوهاً بليغاً، وسمّاه الرشيد صريع الغواني حين أنشده قصيدته التي
يصف فيها الخمر وأولها:

{ الطويل }

أديرا عليّ الكأسَ لا تشربا قبلي ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي
فاستحسن ما حكاه من وصف الشراب واللهو والغزل، وسمّاه صريع
الغواني بأخر بيت منها وهو^(٤٣) :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والأعين النجل
وكما في لقب (الشويعر) وهو لشاعرين : أحدهما محمد بن حمران بن
أبي حمران الحارث بن معاوية بن الحارث بن مالك بن عوف بن سعد بن
عوف بن حريم الجعفي، وهو أحد من سُمِّي في الجاهليّة بمحمد، لقبه
بذلك امرؤ القيس، وكان قد طلب منه أن يبيعه فرسا فأبى فقال فيه^(٤٤) :

{ الخفيف }

أبلغا عني الشويعر أني عمد عين قلدتهن حريما
وحريم هو جدّ الشويعر المذكور.
والثاني هو لقب هانيء بن توبة الحنفي الشيباني، أنشد أبو العباس ثعلب له^(٤٥) :

{ الطويل }

وإنّ الذي يمي ودنياه همه لمستمسك منها بجبل غرور
فسمي الشويعر بهذا البيت.
وكما في لقب (الأقشر)، وهو لشاعرين : أحدهما عقبة بن لقيط،
وسمي الأقشر لشدة حمرة لونه، والأقشر : الشديد الحمرة، وقوله^(٤٦) :

{الرجز}

إني أنا الأقرشُ ذاكم نزيبي

أنا الذي يعرفُ قومي حسبي

والثاني هو المغيرة بن عبد الله بن الأسود، كان يغضب إذا دعوه

الأقيشر، ويخاصم، ودعاه بعضهم بالأقيشر، فقال له: {الوافر}

أتدعونني الأقيشرَ، ذاك اسمي وأدعوك ابن مُطَفِّئَةِ السَّرَاجِ

فسمي ذاك الرجلُ بابن مطفئة السراج^(٤٧).

نقد د. سامي العاني:

على الرغم من تقديرنا لما بذله الدكتور سامي مكّي العاني من جهد مشكور في كتابه "معجم ألقاب الشعراء" وإفادتي منه في عدة مواضع، أرى أنّ الباحث قد وقع في عدة مزالقات، وجّهني إليها في البداية إهمال الباحث الإشارة إلى أنّ صريع الغواني هو القطامي الشاعر، ويمكن إجمال المزالقات التي وقفت عليها في الكتاب في أربعة محاور وهي:

١- إدراج بعض ألقاب الكتاب والمغنين في عمله الذي أعدّ لألقاب الشعراء، على النحو الذي يبدو في الترجمة لـ(صفي الحضرتين، وحمّار العزيز، ودحمان)^(٤٨)، ف(حمّار العزيز) كاتب وليس شاعراً، وهو أحمد بن عبيد الله ابن محمد بن عمار أبو العباس الثقفي، كذا قال الخطيب قال: وله مصنّفات في "مقاتل الطالبين" وكان يتشيع ومات في سنة أربع عشرة وثلاث مئة^(٤٩).

والذي أوهم الدكتور سامي العاني هو أن حمار العزيز (أحمد بن محمد بن عبيد الله بن عمار) كان صديقاً لابن الرومي كثير الملازمة له، وكان ابن الرومي يعمل له الأشعار وينحله إياها يستعطف بها من يصحبه وكان ابن عمار محدوداً فقيراً وقاعة في الأحرار وكان أيام افتقاره كثير السخط لما تجري به الأقدار في آناء الليل والنهار حتى عرف بذلك، فقال له علي بن العباس بن الرومي يوماً: يا أبا العباس قد سميتك العزيز، قال له وكيف وقعت لي على هذا الاسم؟ قال لأنّ العزيز خاصم ربه بأن أسأل من دماء بني إسرائيل على يدي بختنصر سبعين ألف دم، فأوحى الله لئن لم تترك مجادلتني في قضائي لأحوتك من ديوان النبوة، وقال فيه^(٥٠):

{السريع}

وفي ابن عمّار عزيزية يخاصم الله بها والقدر
 ما كان لم كان وما لم يكن لم لم يكن فهو وكيل البشر
 ودحمان كان مغنياً وليس شاعراً، وهو عبد الرحمن بن عمرو مولى
 بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ويكنى أبا عمرو ويقال له دحمان
 الأشقر، قال إسحاق: كان دحمان -مع شهرته بالغناء- رجلاً صالحاً
 كثير الصلاة معدل الشهادة مدمناً للحج، وكان كثيراً ما يقول ما رأيت
 باطلاً أشبه بحق من الغناء، وفي دحمان يقول أعشى بني سليم^(٥١):

{الهزج}

إذا ما هزج الوادي أو ثقل دحمان
 سمعت الشدو من هذا ومن هذا بميزان

أمّا صفّي الحضرتين فكاتب وليس شاعراً، وهو أبو العلاء محمد بن علي بن الحسين صفّي الحضرتين، أصله من همدان ومنشأه الري، وأبوه أبو القاسم من يضرب به المثل في الكتابة والبلاغة، وكلامه في غاية البراعة، يصعب على التعاطي ويسهل على الفطنة^(٥٢).

٢- إهمال التحري والضبط:

وقد تم إهمال التحري والضبط من الباحث في أنحاء كثيرة منها:
أ- إهمال بعض الأسماء اكتفاء باللقب، بسبب الزعم أنّ الاسم غير معلوم، على النحو الذي يبدو في ترجمته لـ(ذو البجاد، وذو رُعَيْن، ولقيم الدجاج)^(٥٣) و(ذو البجاد) وهو العيزار بن حريث ذو البجاد، وسمّي بذلك بيت قاله وهو^(٥٤):

{الوافر}

فويل الركب إذ أبوا جميعاً ولا يدرون ما تحت البجاد
و(ذو رُعَيْن) هو شراحيل بن عمرو القائل^(٥٥):

{الوافر}

فإن تك حمير غدرت وخانت فمعدرة الإله لذي رُعَيْن
و(لقيم الدجاج) هو عبد الله بن لقيم العبسي كما في "الوحشيات"^(٥٦)،
وقيل له: لقيم الدجاج لما قال في افتتاح خبير وهو يعني النبي ﷺ:

{الكامل}

رُميت نطاة من النبي بفيلقٍ شهباء ذات مناكب وفقار

وهَبَ لَهُ دَجَاجٌ خَيْرٌ عَنْ آخِرِهَا ، رَوَاهُ أَبُو عَمْرٍو وَالْمَدَائِنِيُّ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، وَلِتِلْكَ الدَّجَاجُ قِيلَ لَقِيمِ الدَّجَاجِ^(٥٧) .

ب- إهمال التحري في نسبة بعض الأبيات إلى أصحابها ، متابعا لمن سبقه ، كما يبدو في نسبة قول ثابت قطنة يهجو نفسه :

{ البسيط }

لا يعرف الناس منه غير قظنته وما سواها من الأنساب مجهول إلى الشاعر حاجب الفيل فقط^(٥٨) ، رغم نص كثير من المصادر على تصريح الشاعر (ثبت قظنة) بأنه قاله يهجو نفسه ، على النحو الذي يبدو في قول دعبل الخزاعي : "بلغني أنّ ثابت قظنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً فقال لا يعرف الناس منه غير قظنته البيت ، وقال هذا بيت سوف أهجى به وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية ، وقال اشهدوا إني قائله فقالوا ويحك ما أردت أن تهجو نفسك به ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا ، فقال لا بد من أن يقع على خاطر غيري فأكون قد سبقته إليه ؛ فلما هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله فشهدوا على ذلك"^(٥٩) .

ج- تخمين بعض العلل لألقاب الشعراء دون مستند مادي ، على النحو الذي يبدو في لقب (أبو الهدار) حيث يقول فيه : شاعر عباسي من القرن الثالث ، اسمه عياض بن الحارث بن عتبة بن مالك بن جعفر ، سمي بذلك لقول ابن الأعرابي^(٦٠) : {الرجز}

يَمْتَحِقُ الشَّيْخُ أَبُو الْهَدَّارِ
مِثْلَ امْتِحَاقِ قَمَرِ السَّرَّارِ

وليس فيما رجع إليه من المصادر مستند يدل على ذلك، فكل ما في "ألقاب الشعراء" لمحمد بن حبيب أنه "عياض بن الحارث بن عتبة بن مالك ابن جعفر"، وما في "لسان العرب": "وأبو الهدار اسم شاعر عن ابن الأعرابي وأنشد:

يَمْتَحِقُ الشَّيْخُ أَبُو الْهَدَّارِ مِثْلَ امْتِحَاقِ قَمَرِ السَّرَّارِ^(٦١)

فكيف نسب الرجز لابن الأعرابي؟، وكيف عرف أنّ الرجز سبب في التسمية؟

٣- إطلاق بعض الألقاب التي لم تشتهر للشاعر، أو كانت داخلة في نسبه، على النحو الذي يبدو في إطلاق (مكلم الذئب) على رافع بن عميرة الطائي^(٦٢) مع أنه لقب أهبان بن أوس الأسلمي، ولم يقل بهذا اللقب لرافع بن عميرة إلا صاحب "الحماسة المغربية" التي لم يرجع إليها الباحث^(٦٣)، أمّا عميرة، بفتح العين وكسر الميم، رافع بن عميرة الطائي أبو الحسن وهو رافع بن أبي رافع، كان لصاً في الجاهلية، وذكر محمد بن جعفر بن خالد الدمشقي قال رافع بن عميرة الطائي فيما يزعمون كلمه الذئب وهو في ضأن له يراها فدعاه الذئب إلى رسول الله ﷺ وأمره باللحوق به وقد أنشدت طيء شعراً زعموا أنّ رافع بن عميرة قاله في كلام الذئب^(٦٤):

{الوافر}

رَعِيَتِ الضَّأْنَ أَحْمِيهَا زَمَانًا مِنْ الضَّبِّعِ الْخَفِيِّ وَكُلِّ ذَيْبٍ

فلما أن سمعتُ الذُّئْبَ نَادَى يُشْرُنِي بِأَحْمَدَ مِنْ قَرِيبٍ
قال الواقدي: مكلم الذئب أهبان بن أوس الأسلمي وأسلم أهبان
وصحب النبي ﷺ ونزل الكوفة وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان
وابنه إياس بن سلمة بن الأكوع، يكنى أبا بكر توفي سنة تسع عشرة ومئة
بالمدينة وهو ابن سبع وسبعين سنة^(٦٥).

كما يبدو أيضاً في اعتقاده متابعاً للمرزباني أن (الأخيلية) هو لقب
الشاعرة ليلي الأخيلية^(٦٦)، مع أن البحث يقطع بأن بني الأخيل حي من
بني عقيل رهط ليلي الأخيلية، وقولها:

{الكامل}

نَحْنُ الْأَخْيَالُ مَا يَزَالُ غُلَامُنَا حَتَّى يَدْبُ عَلَى الْعَصَا مَذْكُورَا
منسوب لأبيها أو جدّها، وإنما جمعت القبيلة باسم الأخيل بن معاوية
العقيلي^(٦٧).

كما نقل الباحث عن محمد بن حبيب لقب (الأجرد) وهو مسلم بن عبد الله
ابن سفيان بن عبد الله بن معتب وصحفه إلى الأجرد^(٦٨)، ليدل عليه بما
وجدته في "الحماسة البصرية" منسوباً لرجل من بني محارب^(٦٩):

{الطويل}

معاقلنا في الحرب جرد كأنها أجادل في جو السماء كواسر
وسمر من الخطى ذات أسنة وبيض كأمثال البروق بواتر

مع أنّ الأُحرد -بالحاء المهملة- هو مسلم بن عبد الله أبو حسّان البصري كما قال محمد بن حبيب^(٧٠)، وليس فيما رجع إليه الباحث عند ابن قتيبة مستند للتسمية ولا ذكر للأبيات^(٧١).

٤- ترك بعض ألقاب الشعراء رغم نظره في الكتب التي أشارت إليها: ويبدو ذلك واضحاً في ألقاب (ذو الركبة العوجاء، الغريب، المفضّل)، رغم نظره في كتاب "ألقاب الشعراء" لمحمد بن حبيب، و"المذاكرة في ألقاب الشعراء" للأربلي.

فذو الركبة العوجاء كان عبداً؛ قال الجاحظ: وأظنه السائل المثري، وهو الذي يقول فيه الشاعر في قصيدته التي ذكر فيها شعر العبيد، وقد ذكرنا هذه في كتاب "الصحراء والهجناء"، وإياه يعني في قوله^(٧٢):

{الطويل}

وفي درك والعبد ذكوان والذي أراح على بشرٍ بقاصِمةِ الظَّهْرِ
وعَبْدُ بني الحسْحَاسِ والشَّيْخِ مورِقٍ وَذِي الرُّكْبَةِ العَوْجَاءِ وَالسَّائِلُ المثْرِي
وسمِّي ذا الركبة بقوله^(٧٣):

{الكامل}

سَخِرَ العَوَانِي إِذْ رَأَيْنَ مُوَيْهِنًا كَالْبُؤَى، أَكْهَبُ شَاحِبٌ مِنْهُوكِ
والرُّكْبَتَانِ مَفَارِقُ رَأْسَاهُمَا وَالظَّهْرُ أَحْدَبُ، وَالْمَعَاشُ رُكِيكَ
سَمِّ الحَيَاةِ، وَلاَحَ فِي أَعْطَافِهِ قَشْفُ القَتِيرِ، وَذَلَّةُ المَمْلُوكِ
والغُرَيْبِ / وهو نعيم بن سليم، وإنما سمِّي الغُرَيْبِ لقوله^(٧٤):

{الرجز}

اسْمِي نَعِيمٌ وَأَنَا الْغَرِيبُ اسْمًا كَرِيمٍ بِهِمَا أُحَبَّبُ
والمفضّل هو عامر بن معشر بن أسحم بن عدي، فضّل بقصيدته المنصفة
لقوله^(٧٥):

فَأَبْكَيْنَا نِسَاءَهُمْ وَأَبْكُوا نِسَاءَ مَا يَسُوعُ لَهْنٌ رِيقٌ

(للبحث صلة)

الهوامش:

* كلية اللغة العربية- المنصورة- جمهورية مصر العربية.

(١) كتاب التنبية على أوهام أبي علي في أماليه، أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري،
تحقيق: الأب أنطوان صالحاني اليسوعي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م،
الثانية، ١٠٤/١.

(٢) الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، تحقيق: أحمد محمد
شاکر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣م، السابعة،
١٢٤/١، والمزهر ٣٧٨/٢، ولسان العرب ٧٧/١٠.

(٣) المذاكرة في ألقاب الشعراء ص ٢٨.

(٤) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم علي بن
الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة
العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ٣٦٨/١١، وتكملة الإكمال، محمد بن
عبد الغني البغدادي أبو بكر، تحقيق: د. عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم
القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ، الأولى، ٧٥/٤، والبداية والنهاية، إسماعيل بن
عمر بن كثير القرشي أبو الفداء - مكتبة المعارف، بيروت ٢١٦/٢.

(٥) الشّعْر والشّعراء ٢ / ٧٣٦، وتاج العروس ٤٣٧/٦، والمزهر ٣٧٣/٢، وألقاب
الشّعراء ٣٥٣/٢ برواية:

أعرفت رسماً من سمية باللوى دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ بَعْدَكَ فَاسْتَوَى

(٦) مجمع الأمثال ١/٢٩٥، والمذاكرة في ألقاب الشعراء ص ٢٣.

(٧) الأغاني ٣/١٢٢.

(٨) الأغاني ٣/١٣٢.

(٩) تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت

١١٣/٧.

(١٠) المذاكرة في ألقاب الشعراء ص ٣٢.

(١١) الأمالي ٢/١٣٠، وجمهرة اللغة ٢/١١٢٦، وتهذيب اللغة ٥/٢٤٣.

(١٢) المزهرة ٢/٣٧٠ والشعر والشعراء ١/٢٩٧.

(١٣) العمدة ١/٤٨.

(١٤) ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن

إسماعيل الثعالبي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار المعارف، القاهرة، ١/١٠٣،

ومجمع الأمثال، ٢/٨١.

(١٥) العمدة ١/٤٨، والشعر والشعراء ٢/٧١٨، ولسان العرب ٥/٣٠٥، وألقاب

الشعراء ٢/٣٤٠. والعود بفتح العين المهملة وسكون الواو وآخره دال مهملة هو

المسن من الإبل، والجران: باطن العنق الذي يضعه البعير على الأرض إذا مدّ عنقه

لنيام وكان يعمل منه الأسواط.

(١٦) ينظر: تاج العروس ٣٤/٣٥٢، وديوان الحماسة، التبريزي، دار القلم، بيروت

٢/٦٤.

(١٧) المزهرة ٢/٣٧٦، ونزهة الألباب ٢/٢٢١، وتاج العروس ٣٣/٥٠٩، وألقاب

الشعراء ٢/٣٣٥ والأغاني ٢٤/٢٢٤ برواية: ولأطرقن قوماً وهم نيام

(١٨) الأغاني ١٩/٢٠١، والبيان والتبيين ١/١٩٦ والمزهرة ٢/٣٧٥ والمذاكرة في ألقاب

الشعراء ص ٣٢.

(١٩) تاريخ مدينة دمشق ٢٤٥/٦١، وتاج العروس ٤٠٣/٣٨، والشطر المذكور عجز بيت صدره:

لست منا وليس خالك منا

(٢٠) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان/بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، الأولى، ٢٧٣/٥، والمعارف، ٢٤٦/١.

(٢١) معجم الشعراء ص ٢٨٦، والشعر والشعراء ٥٧٧/٢.

(٢٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، الثانية، ٣٨٢/٥، ٧٦/٣، وتاج العروس ٣٣/١٢، والروض الأنف ٧٨/٧ برواية: فلا يدعني قومي لسعد بن مالك لئن أنا لم أسعراً عليهم، وأثقب أي: أوقد. والسعر: وقود النار والحرب. وقيل: سمّي الأسعر لدقة ساقيه.

(٢٣) معجم الشعراء ص ٢٥٨.

(٢٤) مجمع الأمثال ٤٠١/١، والمزهر ٣٧٢/٢، وتاج العروس ٤٥٥/٢.

(٢٥) الشعر والشعراء ٤١٥/١.

(٢٦) المزهر ٣٧٧/٢، والأمال ١٤٢/٢.

(٢٧) الشعر والشعراء ٥٤٤/١، ومعجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، الأولى، ٣٢٩/٣، وألقاب الشعراء ٣٣١/٢.

(٢٨) خزنة الأدب ٦٨/٣، والأغاني ٢٢٠/٢٠.

(٢٩) تاج العروس ٥١٣/١٦.

(٣٠) معجم الشعراء ص ٣٣١.

(٣١) اللباب ٤٤/٣، والأنساب ٥١٨/٤، وتاريخ مدينة دمشق ٩٧/٤٦ والقطامي: اسم من أسماء الصقر.

- (٣٢) الأغاني ج ٢٤/ص ٢٢ وخزانة الأدب ج ٢/ص ٣٢٧ ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، ١/١٨١.
- (٣٣) الأغاني ٧٢/٣، والشعر والشعراء ٦٧٥/٢، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١٠٣/١.
- (٣٤) العمدة ٤٨/١، وينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١٠٣/١، ومجمع الأمثال ٨١/٢.
- (٣٥) المزهري ٣٧٣/٢.
- (٣٦) خزانة الأدب ٣٢٢/١، وجمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، دار الأرقام، بيروت ٣٢/١، والشعر والشعراء، ١/١٢٠.
- (٣٧) المذاكرة في القاب الشعراء ص ٣١.
- (٣٨) اللباب ٢٤٧/٢، والمزهري ٣٧٦/٢.
- (٣٩) الأنساب ٥٥٤/٣.
- (٤٠) اللباب ٢٤٧/٢، والمزهري ٣٧٦/٢، والأنساب ٥٥٤/٣ وفيه (عمرو بن تميم).
- (٤١) خزانة الأدب ٢١٩/٢، ٢٢٠، والروض الأنف ١٤٨/٦ وتاريخ مدينة دمشق ١٠٠/٢٦.
- (٤٢) تاج العروس ٢١٢/٤.
- (٤٣) الشعر والشعراء ٨٣٢/٢، وتاريخ بغداد، ٩٦/١٣، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ، الأولى، ٣٣/١٠، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٣/٤٢١، وتاريخ الإسلام، ٣٩١/١٣، وفوات الوفيات، ٥١٠/٢، والأغاني، ٤٣٤/١٦.

- (٤٤) تاج العروس ١٢/١٨١، ونزهة الألباب ١/٤٠٩، والمزهر ٢/٣٦٨، لسان العرب ٤/٤١٧، وجمهرة اللغة ١/٥٠٦، وألقاب الشعراء ٢/٣٥١.
- (٤٥) تاج العروس ١٢/١٨١ ولسان العرب ٤/٤١٧.
- (٤٦) ألقاب الشعراء ٢/٣٤١، والمذاكرة في ألقاب الشعراء ص ٣٥، ٣٦ والنزب والنبز: اللقب. وهذا من المقلوب.
- (٤٧) الشعر والشعراء ٢/٥٥٩، وخزانة الأدب ٤/٤٤٤.
- (٤٨) ينظر: معجم ألقاب الشعراء، د. سامي مكّي العاني، مكتبة الفلاح، دبي، الأولى، ١٩٨٢م، ص ٦٨، ٨٣، ١٣٢.
- (٤٩) معجم الأدياء، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، الأولى، ١/٤٦٨.
- (٥٠) معجم الأدياء، ١/٤٦٨، ٤٦٩.
- (٥١) الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ٦/٢٨.
- (٥٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، الأولى، ٥/١٢٦.
- (٥٣) ينظر: معجم ألقاب الشعراء، ص ٩٠، ١٨٩، ٩٤.
- (٥٤) الإكمال في رفع الارتفاع عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماکولا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، الأولى، ١/٢٠٥ وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٧/٤٠٣ والأنساب، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م، الأولى، ١/٢٨٣.

- (٥٥) **العقد الفريد**، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت /لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، الثالثة، ٣/٣٣٥.
- (٥٦) **الوحشيات**، أبو تمام، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ومحمود شاكر، دار المعارف، الثانية، ١٩٨٧م، ص ٢٨٩.
- (٥٧) **الحيوان**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، لبنان/ بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ٢/٢٧٨، **والبداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت، ٤/٢١٤.
- (٥٨) **ينظر: معجم ألقاب الشعراء**، ص ٤٩.
- (٥٩) **خزانة الأدب**، ٩/٥٨٠، **والأغاني** ١٤/٢٥٨.
- (٦٠) **معجم ألقاب الشعراء**، ص ٢٤٢.
- (٦١) **ألقاب الشعراء**، ٢/٣٣٩ **وتاج العروس** ١٤/٤١٤ **ولسان العرب** ٥/٢٥٨.
- (٦٢) **ينظر: معجم ألقاب الشعراء** ص ٢٢٣.
- (٦٣) **الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب**، أبو العباس أحمد ابن عبد السلام الجراوي التادلي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١م، الأولى، ١/٩٣.
- (٦٤) **تاريخ مدينة دمشق** ١٨/١٥ **والاستيعاب في معرفة الأصحاب**، يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ١٤١٢، الأولى، ٢/٤٨٣، **وأسد الغابة** ٢/٢٣٢، **والوافي بالوفيات** ١٤/٤٨ **وينظر: شعير طيئ وأخبارها في الجاهلية والإسلام**، د. وفاء فهمي السنديوني، دار العلوم، السعودية، الأولى، ١٩٨٣م، ٢/٥٩٣، ٥٩٤.
- (٦٥) **الإكمال** ٤/٤٤٥، **وتوضيح المشتبه** ٦/٧٣ **والكامل في ضعفاء الرجال**، عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، الثالثة، ٢/١٥٠ **وتهذيب الكمال**، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزني، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة،

- بيروت ١٩٨٠م، الأولى ٣/٣٨٤، والإصابة ١/١٤١، والاستيعاب ١/١١٥
وأسد الغابة ١/٢٠٦، الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله
البصري الزهري، دار صادر، بيروت، ٤/٣٠٨، والوفاء بالوفيات ٩/٢٤٨
وتوضيح المشتبه ٦/٧٤، والمعارف ١/٣٢٤.
- (٦٦) ينظر: معجم ألقاب الشعراء ص ١٧ ومعجم الشعراء ٢٣٢.
- (٦٧) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي،
تحقيق: محمد نبيل طريفي/إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،
١٩٩٨م، الأولى، ٦/٢٢٧، ولسان العرب ١١/٢٣٢ وتاريخ مدينة دمشق
٧٠/٦٠، ومعجم الشعراء ٢٣٢.
- (٦٨) ينظر: معجم ألقاب الشعراء ص ١٣.
- (٦٩) ألقاب الشعراء ٢/٣٣٧، والحماسة البصرية، صدر الدين علي بن الحسن
البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، ١/٦٢.
- (٧٠) نزهة الألباب ١/٦٠.
- (٧١) الشعر والشعراء ٢/٧٣٤.
- (٧٢) البرصان والعرجان ص ٣٢٤، ٣٢٥.
- (٧٣) المذاكرة في ألقاب الشعراء ص ٢٢٣.
- (٧٤) ألقاب الشعراء ٢/٣٤٤، والمذاكرة في ألقاب الشعراء ص ٣٠.
- (٧٥) ألقاب الشعراء ٢/٣٤٢. والأصمعيات ١/٢٠٢ والمذاكرة في ألقاب الشعراء
ص ٢٦.

بَرِيدُ الْعَرَبِ :

ورد إلى "العروب" من الأستاذ كمال عبدالرحمن النعيمي ، من الموصل
بالعراق ، ما يلي :

الإمام السيوطي : ولادته ، نشأته ، مكائته العلمية ، وفاته.

يمكن أن تنقسم سيرة السيوطي على النحو الآتي :

أولاً - اسمه ، نسبه ، كنيته ، نسبه :

اسمه :

قال السيوطي عن نفسه^(١) : أنا عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر محمد بن
سابق الدين الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر نجم
الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين^(٢) .

لقبه :

لقّب بالخضيري^(٣) الأسيوطي ، ولقبه والده بجلال الدين^(٤) ، وكنّاه
شيخه عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني الحنبلي بـ(أبي الفضل)^(٥) .
فأمّا (الأسيوطي) ، فهي نسبة إلى ((سيوط))^(٦) أو ((أسيوط))^(٧) ، وهي
المدينة المعروفة بمصر ، وقد ذكر السيوطي أنّ والده كانت نسبه كذلك .
وقد سمّاه والده بعبد الرحمن بُعيد أسبوع من ولادته^(٨) ولقبه بجلال
الدين .

ونسبته عن لقب (الخضيري)، فيقول السيوطي ((وأما نسبتنا بالخضيري فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة، إلا أنّ الخضيرية هي محلّة في بغداد، وقد حدثني من أتق به أنه سمع والدي -رحمه الله تعالى- يذكر أنّ جدّه الأعلى كان أعجمياً^(٩) أو من الشرق، فالظاهر أنّ النسبة هي إلى المحلّة المذكورة))^(١٠).

كنيته: أبو الفضل: كناه بها شيخه قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني، فقد سأله: ما كنيته؟ فقال السيوطي: لا كنية لي، فقال: أبو الفضل، وكتبه بخطه^(١١).

نسبته:

نسبته إلى ((أسيوط)) كما ذكرنا، وكذلك ((الخضيري)) أي: إلى الخضيرية، وهي محلّة في بغداد.

ثانياً- مولده:

ولد السيوطي -كما قال^(١٢)- بالقاهرة بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب، سنة تسع وأربعين وثمان مئة^(١٣). وقد ذكر في ولادته أمر طريف، إذ إنّ أباه احتاج إلى مطالعة كتاب، فأمر والدته أن تأتيه به، فجاءها المخاض وهي بين الكتب، فوضعتة؛ ولذلك كان يُلقب بابن الكتب^(١٤).

ثالثاً- نشأته:

نشأ السيوطي في بيئة علمية، فقد كان والده عالماً، ذا فنون، فقيهاً فرضياً حاسباً^(١٥)، أصولياً جدلياً، نحوياً تصرّيفياً، بيانياً بديعياً^(١٦)، منشأً مترسلاً بارعاً^(١٧).

وقد اشتغل والده في مسقط رأسه ((أسيوط)) بالطلب أولاً^(١٨)، حتى وُلِّي القضاء، ثم لازم شيوخ العصر، بعد انتقاله إلى القاهرة بعد عشرين وثمان مئة^(١٩)، وبرع في عدد من الفنون حتى انتصب للتدريس والإفتاء، وصنّف عدداً من المصنّفات في فنون مختلفة، وكان قد أخذ عن مشاهير أهل العلم في عصره، وعلى رأسهم الحافظ ابن حجر^(٢٠). وكان السيوطي ربما ناب عن أستاذه ابن حجر في القضاء^(٢١)، كما تولى السيوطي الخطابة في الجامع الطولوني، وعيّن لقضاء مكة فامتنع^(٢٢).

كان السيوطي على جانب عظيم من الديانة والتحري وعزة النفس والصبر على أذى الناس، مواظباً على قراءة القرآن، يختم في كل أسبوع^(٢٣).

وكانت والدته السيوطي أمّ ولد تركية^(٢٤)، ففي هذا المحيط الإيماني والعلمي كانت نشأة السيوطي، وقد حرص والده -وهو أحد علماء عصره- على أن يفتح ابنه عينيه على مجالس العلم، فكان ربما حمله معه إلى جلق العلماء، إذ أحضره مرة إلى مجلس الحافظ ابن حجر^(٢٥)، وحضر وهو صغير -أيضاً- مجالس المشايخ: زين الدين العقبي، وسراج الدين عمر بن الوردی^(٢٦).

وقد اعتنى به والده -رحمه الله- منذ نعومة أظفاره، فشرع في حفظ القرآن الكريم في مرحلة مبكرة، فحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنين^(٢٧)، ثم حفظ كتاب "عمدة الأحكام" في الفقه لابن قدامة، وشرحه لابن دقيق العيد ومنهاج النووي، وألفية ابن مالك في النحو، ومنهاج البيضاوي في الأصول^(٢٨)، ثم عرض ما حفظه على مشايخ الإسلام، العلم البلقيني، والشرف المناوي، والعزّ الحنبلي، وشيخ الشيوخ الأقصري وغيرهم، وحصلت له إجازة بذلك منهم^(٢٩).

ومات والد السيوطي في صفر من سنة خمس وخمسين وثمان مئة^(٣٠). وكان السيوطي قد حفظ من القرآن الكريم إلى سورة التحريم، في الوقت الذي لم يتجاوز عمره خمس سنوات وسبعة أشهر^(٣١). وبعد وفاة والده نشأ يتيماً، بعد أن عهد والده بوصايته إلى عدد من أهل العلم والفضل، منهم كمال الدين بن الهمام الحنفي الذي اعتنى به، ولحظه بنظره^(٣٢). قال السيوطي عن نفسه: ((وقد كنت في مبادئ الطلب قرأت شيئاً عن علم المنطق، ثم ألقى الله كراهته في قلبي، وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته، فعوضني الله تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف العلوم))^(٣٣).

وشرع في طلب العلم من مستهل سنة أربع وستين، فأخذ عن علماء عصره أنواعاً من الفنون، منها: صحيح مسلم، إلا قليلاً منه، والشفاء، وألفية ابن مالك، وقطعة من التسهيل، والتوضيح، وشرح الشذور، والمغني في أصول الحنفية، وشرح العقائد للفتازاني، وكافية ابن الحاجب وشرحها، ومقدمة إيساغوجي في المنطق وشرحها، وقطعة من كتاب سيبويه، وبعض ألفية العراقي وغير ذلك^(٣٤)، وكذا قرأ في الطب^(٣٥)، وبالجملة فقد تضلّع من أنواع العلوم حتى أُجيز بالإفتاء والتدريس من علماء عصره^(٣٦)، وألّف في تلك السنة أولى مؤلفاته^(٣٧).

وهذه المنزلة التي بلغها لم تكن لتحصل لولا تمكنه من فنون العلم المختلفة، وأخذه بزمامها، حتى قال عن نفسه -متحدثاً بنعمة الله- وحُقّ له التحدث بتلك النعمة:

ولما حججتُ شربتُ من ماء زمزم^(٣٨) لأمرٍ منها: أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر، وأفتيت في مستهل سنة إحدى وسبعين وثمان مئة^(٣٩)، وعقدت إملاء الحديث من مستهل سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة^(٤٠)، ورُزقتُ التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبدیع^(٤١)، على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة^(٤٢)، والذي أعتقده أنّ الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة -سوى الفقه- والنقول التي اطلعت عليها فيها، لم يصل إليها ولا وقف عليها أحد من أشياخي^(٤٣)، فضلاً ممن هو دونهم، وأمّا الفقه، فلا أقول ذلك فيه، بل شيخي^(٤٤) فيه أوسع نظراً، وأطول باعاً، ودون هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونهما الإنشاء والتراسل والفرائض، ودونها القراءات، ولم آخذها عن شيخ، ودونها الطب، وأمّا علم الحساب فهو أعسر شيء عليّ وأبعده عن ذهني، وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلاً أحمله^(٤٥).

كان السيوطي يعتقد أنه المبعوث على رأس المئة التاسعة، مجدداً ومحياً للإسلام، وذلك بناء على الحديث النبوي الشريف ((إنّ الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها))^(٤٦).

ولما أراد السيوطي أن يضع لنفسه ترجمة في كتابه "حسن المحاضرة" اختار لها مكاناً بين تراجم الذين كانوا بمصر من الأئمة المجتهدين^(٤٧)، وربّتها بعد ترجمة سراج الدين البلقيني، المتوفى سنة ٨٠٥^(٤٨)، الذي وصفه السيوطي بأنه المبعوث على رأس المئة الثامنة^(٤٩).

وعقب على ذلك بقوله : ((ومن اللطائف أنّ شرط المبعوثين على رؤوس القرون مصريون، عمر بن العزيز في الأولى، والشافعي في الثانية، وابن دقيق العيد في السابعة، والبلقيني في الثامنة، وعسى أن أكون المبعوث على المئة التاسعة من أهل مصر))^(٥٠).

وفي كتاب "الرد على من أخذ إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض"، مهّد السيوطي السبيل لبثّ دعوته عن نفسه، ولكنه لم يجاهر بها، إلى أن وضع رسالة "التنبية فيمن يبعثه الله على رأس كل مئة"، لكنه في هذه الرسالة لم يتجاوز عن فكرته حد الرجال، فقال: ((إني ترجيت من نعم الله وفضله، كما ترجى الغزالي لنفسه، أني المبعوث على رأس المئة التاسعة، لانفرادي عليها بالتبحر في أنواع العلوم، وقد اخترعت علم أصول اللغة، وورثته، ولم أسبق إليه، وهو على نمط علم الحديث، وعلم أصول الفقه، وسارت مصنفي وعلومي في سائر الأقطار، ووصلت إلى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور، وامتدت إلى البحر المحيط، ولا مشاركة في مجموع ما ذكرته))^(٥١).

ويقول في موضع آخر إنه نظم أرجوزة سمّاها (تحفة المهتدين بأسماء المجددين)، وهذه خاتمتها:

وهذه تاسعة المئين قد أتت ولا يخلف الهادي ما وعد

وقد رجوت أني المجدد فيما فضل الله ليس يجحد^(٥٢)

وأخيراً في رسالته المسماة "الكشف عن مجازة هذه الأمة الألف" عبّر بصراحة عن مبعوثيته فقال:

"فإنه ثم من ينفخ أشداقه، ويدعي مناظرتي، وينكر عليّ دعوى الاجتهاد والتفرد بالعلم على رأس هذه المئة، ويزعم أنه يعارضني ويستجيش عليّ من لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد، ونفخت عليهم نفخة واحدة صاروا هباءً منثوراً"^(٥٣).

رابعاً- مكانته العلمية:

ويتضح مما تقدم علو المكانة العلمية التي وصل إليها الحافظ السيوطي، ورفعة شأنه، ولا يستغرب مثل هذا على من كان في مثل سيرته من الاجتهاد والتحصيل والحرص، وقد اعترف أهل العلم بمكانته وعلو منزلته، حتى كان بعض شيوخه يقرظ مؤلفات تلميذه الشاب^(٥٤).

وتبدو لنا المكانة العلمية للسيوطي من خلال جلوسه للناس وانتصابه لتعليمهم وإفتائهم، وقد تحقق ذلك، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، بعد رجوعه من رحلته إلى دمياط والإسكندرية في شوال سنة سبعين وثمان مئة^(٥٥)، فتلقى عنه الكثير من الطلاب والفضلاء والمدرسين وأخذوا عنه، حتى إن بعض العلماء البارعين أخذوا عنه ولازموه سنوات طويلة، وفي مستهل سنة اثنتين وسبعين ابتداءً إملاء الحديث بالجامع الطولوني^(٥٦)، فهكذا تصدى -رحمه الله- للتدريس والإملاء والإفتاء، وهو لم يجاوز الثانية والعشرين من عمره^(٥٧)، وهذه من أقوى الدلائل على المكانة التي

بلغها، لاسيما مع وجود مشايخه الذين ربما حضروا دروسه وإملاءاته^(٥٨)، واستمر في التدريس والإفتاء حتى شهر رجب من سنة سبع وسبعين وثمان مئة - أي عندما كان عمره ثمانية وعشرين عاماً-، واختير لتدريس الحديث بالمدرسة الشيعونية^(٥٩).

ووقع الاختيار عليه للتدريس فيها يعني بلوغه شأنًا عظيمًا^(٦٠) ومكانة عالية، فكيف لا ولم يتولّ التدريس قبله إلاّ جهابذة الحفاظ الذين كان بينهم الحافظ ابن حجر، وقد حضر تصديره في المدرسة المذكورة شيخه العلامة محيي الدين الكافيجي^(٦١).

وعندما عرف أهل الفضل ما بلغه السيوطي من مكانة ومنزلة أقرّوا له بالعلم، واعترفوا له بالإمامة^(٦٢)، ومن المواقف الدالة على ذلك، ما حصل للسيوطي مع شيخه تقي الدين الشمني، عندما عزا الشمني حديثاً لابن ماجة، ولما راجع السيوطي الحديث، لم يجده في "سنن ابن ماجة"، ووجده في "معجم الصحابة" لابن قانع، فجاء إلى الشيخ وأخبره، فلمّا سمع الشيخ منه ذلك، ضرب على الحديث في نسخته، ورجع لقول تلميذه السيوطي^(٦٣).

وقال تلميذه الداودي: أخبرني عن نفسه أنه يحفظ مئتي ألف حديث، وقال: ولو وجدتُ أكثر لحفظته^(٦٤).

وقال: كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث رجالاً وغريباً، ومتناً وسنناً، واستنباطاً للأحكام منه^(٦٥).

وقال عنه ابن خلكان : المسند المحقق المدقق ، صاحب المؤلفات الفائقة
النافعة^(٦٦) .

وقال ابن أياس : كان كثير الاطلاع ، نادرة في عصره ، بقية السلف
وعمدة الخلف^(٦٧) .

وقال الشوكاني : إنّ السيوطي كان أعلم أهل زمانه بعلوم الحديث
وفنونه ، حافظاً متقناً ، يعرف غريب ألفاظه ، واستنباط الأحكام^(٦٨) .

وقال الشعراني : وقد بيّض ابن حجر عدة أحاديث لا يعرف من
خرّجها ولا مرتبتها ، فخرّجها - يعني السيوطي - وبين مرتبتها من حسن
وضعف وغير ذلك^(٦٩) .

أمّا مؤلفاته ، فقد استقصى تلميذه الداودي مؤلفاته الكاملة المتقنة
فناقت على خمس مئة مؤلف .

وقال العيدروس : ووصلت مصنّفات السيوطي نحو الست مئة سوى
ما رجع عنه وغسله^(٧٠) .

وقد بلغ عدد أسماء مصنّفاتة التي ساقها اسماعيل البغدادي في "هدية
العارفين"^(٧١) خمس مئة وثلاثة وتسعين مصنّفاً .

وأخيراً ذكر ابن أياس أنّ مؤلفات السيوطي بلغت ست مئة مؤلف^(٧٢) .
وأما تلامذته ورواته ، فقد تلقى عن الشيخ السيوطي عدد من التلاميذ
نذكر بعضهم على سبيل المثال^(٧٣) :

١ . جمال الدين يوسف بن محمد بن علي الفلاحي (ت ٨٧٥هـ) .

٢ . شهاب الدين أحمد بن أحمد بن علي بن زكريا الجديدي (ت ٨٨٨هـ) .

٣. محمد بن أحمد بن أياس الحنفي (ت ٩٣٠).
 ٤. عبد القادر بن محمد بن أحمد الشاذلي المؤذن (ت ٩٣٥).
 ٥. علي بن محمد بن خلف (ت ٩٣٩).
 ٦. محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (ت ٩٣٩).

خامساً- وفاته :

بعد أن عاش السيوطي حياةً مليئةً بالجد والمثابرة، تحصيلاً، وإفادة،
 وتدریساً، وتأليفاً، أُصيب بورم في ذراعه الأيسر^(٧٤) فتمرّض به سبعة
 أيام إلى أن توفي سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى في منزله
 بروضة المقياس بالقاهرة^(٧٥) سنة ٩١١ هـ، وكان عمره عند وفاته إحدى
 وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً^(٧٦).

وكان لجنائزه مشهد عظيم، وصلى عليه الأفارقي تحت القلعة^(٧٧)،
 ودفن بشرقي باب القرافة، وصُلِّت عليه صلاة الغائب بدمشق^(٧٨)
 بالجامع الأموي يوم الجمعة ثامن رجب من السنة المذكورة^(٧٩).

وقد رثاه العلماء وطلابه ومحّبوه بمرثيات كثيرة، ومما رثي به بعد موته،
 قول عبد الباسط بن خليل الحنفي :

مات جلال الدين غيث الوري مجتهد العصر إمام الوجود
 وحافظ السنّة مهديّ الهدى ومرشد الضال بنفع يعود
 فيا عيون انهملي بعده ويا قلوب انفطري بالوقود
 إلى أن قال :

مصيبة حلّت فحلّت بنا وأورثت نار اشتعال الكبود
صبرنا الله عليها وأولاه نعيمًا حلّ دار الخلود
وعمه منه بوبل الرضا والغيث بالرحمة بين اللحد
فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنّاته، ونفع البرية بغزير علمه
وهو العالم المعلّم صاحب الميراث العلمي الكبير.

الهوامش:

- (١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط ١، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٨٧ هـ / ١٩٨٦ م)، ٢٨٨/١.
- (٢) م. ن: ١ / ٢٨٨.
- (٣) م. ن: ١ / ٢٨٨.
- (٤) النور السافر في تاريخ القرن العاشر، عبد القادر بن عبد الله العيدروسي (ت ١٠٣٨ هـ)، تحقيق: د. أحمد حالي وآخرون (ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١ م)، : ٩٠.
- (٥) النور السافر: ٩٠، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (دار الكتب العلمية، بيروت): ٥١/٨.
- (٦) أنساب السمعاني: ١/١١١.
- (٧) م. ن: ١ / ١١١.
- (٩) النور السافر: ٩٠.
- (١٠) حسن المحاضرة: ١ / ٢٨٨.
- (١١) م. ن: ١ / ٢٨٨.

- (١٢) شذرات الذهب: ٥١/٨.
- (١٣) حسن المحاضرة: ٢٨٨/١، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، ٦٥/٤، شذرات الذهب: ٥١/٨.
- (١٤) بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن أحمد بن أبياس (ت ٩٣٠ هـ)، تحقيق: محمد مصطفى (ط ١، القاهرة، ١٤٠٤ هـ/١٩٩٨ م)، ٨٣/٤.
- (١٥) النور السافر: ٥٤.
- (١٦) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٤ م، ٤٧٢/١، حسن المحاضرة: ٣٦٩/١.
- (١٧) حسن المحاضرة: ٣٧٠/١.
- (١٨) م. ن: ٣٧٠/١.
- (١٩) بغية الوعاة: ٤٧٢/١.
- (٢٠) حسن المحاضرة: ٣٧٠/١.
- (٢١) بغية الوعاة: ٤٧٢/١.
- (٢٢) م. ن: ٤٧٢.
- (٢٣) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، محمد بن أحمد الغزي (ت ١٠٦١ هـ)، تحقيق: جبرائيل سليمان جبورا، ط ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩ م، ٥٦٦: ٢٢٦.
- (٢٤) حسن المحاضرة: ٣٧٠/١.
- (٢٥) بغية الوعاة: ٤٧٢/١.
- (٢٦) الضوء اللامع: ٦٥/٤، النور السافر: ٩٠.
- (٢٧) الكواكب السائرة: ٢٢٦/٢، شذرات الذهب: ٥٢/٨.
- (٢٨) النور السافر: ٩١.

- (٢٩) حسن المحاضرة: ٣٣٦/١، الضوء اللامع: ٦٩/٤.
- (٣٠) حسن المحاضرة: ٣٣٦/١.
- (٣١) حسن المحاضرة: ٣٣٦/١، الضوء اللامع: ٦٩/٤.
- (٣٢) الكواكب السائرة: ٢٢٧٩/١، شذرات الذهب: ٥١/٨.
- (٣٣) الكواكب السائرة: ٢٢٧٩/١.
- (٣٤) شذرات الذهب: ٥١/٨.
- (٣٥) حسن المحاضرة: ٢٩٠/١.
- (٣٦) م.ن: ٢٩٠/١.
- (٣٧) م.ن: ٢٩٠/١.
- (٣٨) الضوء اللامع: ٦٩/٤.
- (٣٩) حسن المحاضرة: ٢٨٨/١، الكواكب السائرة: ٢٢٧/١، شذرات الذهب: ٥١/٨.
- (٤٠) حسن المحاضرة: ٢٨٨/١.
- (٤١) حسن المحاضرة: ٢٩٠/١.
- (٤٢) م.ن: ٢٩٠/١.
- (٤٣) م.ن: ٢٩٠/١.
- (٤٤) الكواكب السائرة: ٢٢٧/١.
- (٤٥) شذرات الذهب: ٥٢/٨.
- (٤٦) حسن المحاضرة: ٢٩٠/١.
- (٤٧) م.ن: ٢٩٠/١.
- (٤٨) م.ن: ٢٩٠/١.
- (٤٩) رواه الحاكم: ٥٢٢/٤، وصححه ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في الجامع الصغير، انظر: فيض القدير: ٢٨١/٢.
- (٥٠) فيض القدير: ٢٨٢/٢.

- (٥١) حسن المحاضرة: ٣٢٩/١.
- (٥٢) م.ن: ٢٣٩/١.
- (٥٣) م.ن: ٢٣٩/١.
- (٥٤) الحاوي، السيوطي: ١٦٧/٢.
- (٥٥) الحاوي: ١٦٧/٢.
- (٥٦) م.ن: ٨٦/٢.
- (٥٧) الحبايك في أخبار الملائك (للسيوطي): رسالة ماجستير، جامعة أمّ القرى: أحمد ابن عبد العزيز الفارس، ١٤٢٩ هـ، ٣٨.
- (٥٨) الضوء اللامع: ٦٦/٤.
- (٥٩) حسن المحاضرة: ٢٩٤/١.
- (٦٠) الضوء اللامع: ٦٦/٤.
- (٦١) الحبايك في أخبار الملائك: ٣٩.
- (٦٢) الضوء اللامع: ٦٦/٤.
- (٦٣) الحبايك في أخبار الملائك: ٣٩.
- (٦٤) الضوء اللامع: ٦٦/٤.
- (٦٥) الحبايك في أخبار الملائك: ٤٠.
- (٦٦) حسن المحاضرة: ٢٨٩/١.
- (٦٧) شذرات الذهب: ٥٣/٨.
- (٦٨) م.ن: ٥٣/٨.
- (٦٩) م.ن: ٥٣/٨.
- (٧٠) بدائع الزهور: ٨٣.
- (٧١) البدر الطالع من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، دار المعرفة، بيروت: ٣٣٣/١.

- (٧٢) م.ن: ٣٣٣/١.
- (٧٣) البدر الطالع: ٢٣٢/١.
- (٧٤) بدائع الزهور: ٨٣.
- (٧٥) شذرات الذهب: ٥٥/٨.
- (٧٦) النور السافر: ٩٤/١.
- (٧٧) الكواكب السائرة: ٢٣١/١.
- (٧٨) البدر الطالع: ٢٣٣/١.
- (٧٩) بدائع الزهور: ٨٣-٨٤، الكواكب السائرة: ٢٣٢/١.

آل عصفور: أسرة حكمت الخليج مئة وخمسين عاماً، خالد النزر،
المؤسسة العربية للنشر، بيروت، سنة ٢٠٠٥، ٨٣ صفحة.

لقد عانى شرقي الجزيرة العربية مثل بقية أجزاء الجزيرة الأخرى من إهمال تدوين تاريخها، ولعل ذلك يعود في جانب منه لغلبة الأمية على معظم أفرادها، أمّا الأفراد الذين نالوا حظاً من التعليم منهم فيبدو أنّ اهتمامهم كان منصباً على علوم الدين وشيء من العربية. أمّا الوعي بأهمية تدوين التاريخ فكان غائباً كلياً، ولذا غاب الكثير من أحداثها السياسية وأخبار مجتمعاتها. في القرون الإسلامية الأربعة الأولى تحفظ لنا المصادر بعضاً من أخبار القوى المعارضة في شرقي الجزيرة العربية للحكومات المركزية، ولذا سجّل مؤرخو المركز (العاصمة) أو غيرهم جوانب من تلك الأحداث مثل ثورات الخوارج في العهد الأموي، والاعتداءات على حُجاج العراق والشرق، وحركة القرامطة في العهد العباسي. تعاقب على حكم الجزء الشمالي من شرقي الجزيرة العربية (أي من شمالي الكويت حتى حدود إمارة أبو ظبي) عدد من الأسر الحاكمة هم على التوالي: القرامطة والعيونيون وآل عصفور والجبور وبنو خالد

والعثمانيون فالدولة السعودية الأولى. لقد حظي القرامطة بقدر من تدوين أخبارهم بسبب صراعهم مع الدولة العباسية واعتداءاتهم المتكررة على الحجّاج في الطريق من العراق، وتوجّوا ذلك بهجومهم على الحجّاج بمكة المكرمة سنة ٣١٧هـ/٩٣٠م، أمّا العيونون الذين تلوهم في الحكم فيعود الفضل في تدوين بعض أخبارهم إلى شاعر ينتمي إلى الأسرة الحاكمة هو علي بن المقرّب العيوني الذي سجّل في شعره أحداثهم وقام شارح الديوان ببسطها وتوضيح الغامض منها. أمّا العصفوريون الذين حكموا شرقي الجزيرة العربية (البحرين) فالمعلومات عنهم ضئيلة جدًّا ومبعثرة فقليل منها ذكرها مؤرخو العصر المملوكي بمصر أو بعض مؤرخي إيران. ويعود الفضل للدكتور عبداللطيف الحميدان في بحثه الرائد "إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرقي الجزيرة العربية" الذي تقصّى المعلومات من المصادر المختلفة ولاستنتاجاته القيّمة. ثم تناول نسب الأسرة بالدراسة كل من المرحوم حمد الجاسر في "مجلة العرب" وفي "معجم المنطقة الشرقية"، وكذلك أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري في كتابه "أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء". أمّا المرحوم محمد بن عبدالله آل عبدالقادر الأحسائي في كتابه "تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد" فلم يزد ما ذكره عن حكم العصفوريين عن صفحة واحدة.

٢٠٨/١

أمّا كتاب خالد النزر "آل عصفور: أسرة حكمت الخليج مئة وخمسين سنة" فيتكون من مبحثين، الأول نسب آل عصفور، والثاني آل عصفور في العصر الحالي.

ويمكن من البدء القول إنّ دراسة النزر في مبحثه الأول هي دراسة نقدية لكتابات الباحثين المعاصرين في موضوع "نسب آل عصفور" وهو ما تركزت عليه دراساته مبتدئاً بالجاسر ثم أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري وتناوله الحميدان وغيره من الدارسين والمؤلفين. واستعان الأستاذ النزر بالمصادر التي أشارت إلى العصفوريين مثل ديوان ابن المقرب وابن خلدون في تاريخه والقلقشندي في كتابيه في الأنساب "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب" و"قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان".

فالجاسر في مبحثه الأول الذي نشره في "مجلة العرب" جعل نسب العصفوريين يعود إلى قبيلة عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ثم عدل عن هذا الرأي في كتاباته المتأخرة ورأى أنهم ينتسبون إلى بني عامر أو عمرو من عبدالقيس. وخالف أبو عبدالرحمن ابن عقيل شيخه الجاسر، إذ إنه يتفق مع الجاسر في رأيه الأول في انتساب بني عصفور إلى بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويخالفه في رأيه الثاني، ودار بينهما سجال ضمه مقدمة كتاب الظاهري التي كتبها الجاسر وبحث الظاهري عن نسب العصفوريين في الكتاب. وانقسم الباحثون الآخرون إلى قسمين منهم من أخذ بهذا الرأي ومنهم من أخذ بذلك.

وللتوضيح فإنّ قبيلة عُقَيْل بن كعب العامرية كانت تقيم في ما يطلق عليه في الوقت الراهن "وادي الدواسر" نسبة لقبيلة الدواسر التي سكنته في قرون متأخرة نسبياً. وكان يجاورها عقيل وأخواتها في النسب قشير بن كعب التي كانت تستوطن الفلج (الأفلاج) وجعدة بن كعب التي كانت تستوطن ما بينهما. وهاجرت قبيلة عقيل إلى شرقي الجزيرة العربية (البحرين) في القرن الثالث أو الرابع الهجريين؛ لأنها ربطتها علاقة بالقرامطة، ثم هاجر قسم منها إلى العراق، وكان لها دور فاعل في جنوب العراق. وقبيلة عقيل كانت مرهوبة الجانب خاصة مطلع القرن السابع الهجري في منطقة الأحساء، ويمكن أن يكون اندمج فيها عن طريق الحلف قبائل أخرى سواء كانت عامرية أو غير ذلك. أمّا كيف حكم العصفوريون شرقي الجزيرة العربية فإنه لما اعتري الضعف آخر حكام العيونيين، وهم يعودون في نسبهم إلى قبيلة عبدالقيس، كانت أقوى قوة في المنطقة أعراب بني عقيل (والذين يطلق عليهم أحياناً بني عامر) بقيادة عصفور بن راشد بن عميرة، فاستولوا - بالتعاون مع بعض الأهالي - على مدينة الأحساء عام ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م وأسسوا لهم حكماً وراثياً في المنطقة. كتاب الأستاذ خالد النزر يتكون من مبحثين، الأول: نسب آل عصفور. وقد بنى دراسته لنسبهم على المصادر الأولية المعاصرة من جهة، ودراسة كتابات الباحثين المعاصرين الذين أشرنا إليهم سالفاً، والذين اختلفوا فيما بينهم، إذ كان العصفوريون يعودون بنسبهم إلى قبيلة

عبد القيس التي كانت تستوطن شرقي الجزيرة العربية منذ ما قبل الإسلام، أو إلى قبيلة عقيل بن كعب... بن عامر بن صعصعة التي كانت تستوطن ما يسمّى الآن وادي الدواسر، ثم انتقلت في وقت ما بين القرنين الثالث أو الرابع إلى شرقي الجزيرة العربية فالعراق.

درس الأستاذ النزر اختلاف الباحثين بدقة وتقصُّ وموضوعية، وكان له إضافات قيِّمة خاصة أنه من أبناء المنطقة ومَعْنِيٌّ بتاريخها وبأنساب أهلها وعلى تواصل مع علمائها، ورجَّح هو الآراء التي تقول إنّ العصفوريين يعودون في نسبهم إلى عُقيل وأصبح يطلق عليهم في زمنهم بني عامر، أي القبيلة الأمّ. وقد يكون ذلك بسبب أنّ بعضاً من فروع القبيلة الأخرى تحالف معهم. ويذكر الأستاذ النزر (٢٩) أنّ الأحسائيين، خاصة أهل أماكن الكثافة لبني عُقيل (الهفوف والمبرز) قد حافظوا على انتخائهم، بعضهم ببعض، بعبارة "أولاد عامر"، وذلك عند انتقالهم كجماعات وعشائر إلى العراق وإيران. فعبارة "أولاد عامر" في العراق مثلاً، تعني على الفور "الحساوية". وحين ذكرهم العزاوي (عشائر العراق ٤٠/١)، قال: "عشيرة الحساوية نخوتهم "أولاد عامر" وهم من الأحساء وعملهم في الغراس". مع ملاحظة أنّ ذكرهم من أحلاف بني مالك المنتفق، وهي في أساسها قبيلة عقيلية عامرية. أمّا العامري فذكر "الحساوية" كعشيرة مستقلة في العراق وسمّاها "الحسائية"، وذكر أنّ نخوتهم "عامر"، وقال إنّ أصولهم تعود للأحساء. أمّا في المناطق العربية في إيران، أو ما كان يعرف

بعريستان، فقد ذكر المانع (مسيرة إلى قبائل الأحواز، ص ٦٣): أنّ
الحساوية من عدة قبائل، وأنهم في فترة متأخرة عن أقرانهم قاموا بتأسيس
جلف قبلي لهم هو قبيلة أولاد عامر. وينقل عن ضرار صالح ضرار
("هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل"، ص ٤٢٩) أنّ بني عامر شرق
السودان يُنسبون إلى الأحساء فيقال لهم: بني عامري، كما يقال للواحد
منهم: حساوي...

لقد تسلسل الحكم في هذه الإمارة بدءاً من الأمير عصفور بن راشد ثم
ابنه مانع وتسلسل الحكم في ذرية هذا الأخير إلى أن بدأ التنافس يدبّ بين
بعض أفراد الأسرة الحاكمة، ما آل بها إلى الضعف ثم السقوط، وكان
ذلك في العقد الثامن أو التاسع من القرن الثامن الهجري.

أمّا المبحث الثاني آل عصفور في العصر الحالي، وهو بحث جديد وممتع
بذل فيه الباحث جهداً مضميناً في تتبع الأسر المتحدّرة من تلك الأسرة
الحاكمة، وقد توزعت بين بلدان كثيرة منها الأحساء والقطيف ومناطق
قرب الطائف، ومن المحتمل أنّ البعض منهم اندمجوا ولم يعودوا يعرفون
أصولهم، وفي مملكة البحرين والكويت وقطر والعراق وإيران. ومن الجدير
بالملاحظة أنّ الأسرة تحوّلت إلى التشيع ولا يعرف تاريخ ذلك هل كان في
أثناء حكمها أو في أواخره أو تشيع بعض وبقي البعض الآخر على مذهبه.
ومن تحدّروا من عائلة العصفور أهل محلتي الدراز والشاخورة في مملكة
البحرين ووصل عدد علمائهم منذ القرن الحادي عشر الهجري ٨٥ عالماً

كان بعضهم من أعلم وأشهر علماء الجعفرية. وكان منهم أسر ذوو مكانة اقتصادية بارزة فمنهم كبار تجار الخليج أصحاب مراكب الغوص على اللؤلؤ، وذوو نفوذ في تجارة الخليج. ومنهم من اشتغل بمهن اقتصادية مهمة كمشاغل صياغة الذهب وغيرها.

ع.ص.هـ

إهداءات إلى مكتبة العربيه

أولاً- الكتب :

- لقاء رضوى وأثره على الأوضاع السياسية في العالم العربي ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م: دراسة تاريخية وثائقية، د. خليفة بن عبدالرحمن المسعود، إصدار داره الملك عبدالعزيز، ٣٠٥، الرياض، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- إعلام المدينة المنورة في القرن العاشر الهجري، إعداد مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، إصدار داره الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- المرجعية والمنهج: دراسة نظرية تطبيقية، د. أحمد مرزاق، (كتاب المجلة العربية ٢١٠)، ١٤٣٥هـ.
- المدينة المنورة: تاريخ ومعالم، إعداد مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، إصدار داره الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- أبو عمر أحمد بن حربون من شعراء الأدب التاريخي في الأندلس، د. عبدالله بن علي بن ثقفان، كتاب المجلة العربية، ٢٠٩، ١٤٣٥هـ.
- الموروث الشعبي في السرد العربي، محمد عزيز العرفج، كتاب المجلة العربية، ٢٠٧، ١٤٣٥هـ.
- عبدالله بن خميس في مجمع الخالدين: دراسة وجمع لبحوث ابن خميس المقدمة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، د. محمد بن عبدالرحمن الربيع، إصدار داره الملك عبدالعزيز، الرياض، ٢٩٥، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- الدرعية نشأة وتطوراً في عهد الدولة السعودية الأولى، د. عبدالله الصالح العثيمين، إصدار داره الملك عبدالعزيز ٢٢، الرياض، ١٤٣٤هـ.
- غالية البقمية حياتها ودورها في مقاومة جملة محمد علي باشا على ثرية، د. دلال بنت مخلد الحربي، إصدار داره الملك عبدالعزيز، ٢٩٩، الرياض، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

ثانياً- المجلات :

- الفرقان، العدد ٧٦٠، ٢٦ ربيع الأول ١٤٣٥هـ/٢٧/١/٢٠١٤م، رئيس التحرير: د. بسام الشطي.
- الفرقان، العدد ٧٦١، ٢ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ/٣/٢/٢٠١٤م، رئيس التحرير: د. بسام الشطي.
- الفرقان، العدد ٧٦٢، ١٠ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ/١٠/٢/٢٠١٤م، رئيس التحرير: د. بسام الشطي.
- الفرقان، العدد ٧٦٣، ١٧ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ/١٧/٢/٢٠١٤م، رئيس التحرير: د. بسام الشطي.
- تطوير، العدد ٦٩ ذوالحجة ١٤٣٤هـ.
- عيادة الجندي، العدد ٤٠، محرم ١٤٣٥هـ، رئيس التحرير: المقدم منصور بن عبدالله الحميدي.
- إذاعة وتلفزيون الخليج، السنة ٣٠، العدد ٩٦، ربيع الآخر ١٤٣٥هـ/فبراير ٢٠١٤م، رئيس التحرير: د. عبدالله بن سعيد أبو راس.
- الفيصل، عدد خاص: ٤٥١-٤٥٢، المحرم-صفر ١٤٣٥هـ/نوفمبر-ديسمبر ٢٠١٣م، رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت.
- المجلة العربية، العدد ٤٤٦، ربيع الأول ١٤٣٥هـ/يناير ٢٠١٤م، رئيس التحرير: د.عثمان بن محمود الصيني.
- المجلة العربية، العدد ٤٤٨، جمادى الأولى ١٤٣٥هـ/مارس ٢٠١٤م، رئيس التحرير: د. عبدالله نعمان الحاج.
- الخفجي، السنة ٤٣، العددان ١١-١٢ نوفمبر-ديسمبر ٢٠١٣م، محرم/صفر ١٤٣٥هـ، رئيس التحرير: م. سليمان ناصر الرشيد.
- الخفجي، السنة ٤٤، العددان ١-٢ يناير-فبراير ٢٠١٤م، ربيع الأول-ربيع الثاني ١٤٣٥هـ، رئيس التحرير: م. سليمان ناصر الرشيد.

